أخبار الأئمة الرستميين

ابن الصغير

القرن الثالث الهجري

تحقيق و تعليق
دكتور محمد ناصر
الأستاذ إبراهيم بحاز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

من أهم البواعث التي حفزتنا على تحقيق هذا المؤلَّف القيم ونشره ، ما رأيناه من فراغ في المكتبة العربية الاسلامية في مجال تاريخ المغرب الاسلامي عامة ، وتاريخ الدولة الرستمية خاصة . وقد ساعد على احداث هذا الفراغ الهائل عدة عوامل ، قد يكون من أهمها عدم اهتمام الدارسين والباحثين بهذا النوع من الدراسات التي تعتمد البحث والتقصي ، وميل اغلب الناشرين الى هذا الانتاج الخفيف الذي يقبل عليه القاريء المعاصر غالبا مثل القصص والروايات والشعر وما اليها .

والحق قد يكون مما ساعد على صعوبة الوصول الى هذا التراث المتعلق بالدولة الرستمية ، انصراف المؤرخين القدامى انفسهم عنها ، وزهدهم في الكتابة في تاريخها ، لا لشيء الا لكون مؤسسيها يتمذهبون بالمذهب الاباضي الذي يصر أغلب اولئك المؤرخين على اعتباره مذهبا من مذاهب الخوارج .

وقد لفت نظرنا كما لفت نظر العديد من الباحثين المعاصرين النزهاء هذا التجني في حق أول دولة مستقلة في المغرب الاسلامي ، استطاعت ان تطبق بحق الديمقراطية والعدالة بين أهلها رغم اختلاف المذاهب والديانات ، ويمكن ان نذكر من بين اولئك المؤرخين ابن عبد الحكم (ت 257 هـ) صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب والاندلس ، والبلاذري (ت 279 هـ) صاحب الكتاب المشهور فتوح البلدان ، فعلى الرغم من معاصرتها للدولة

الرستمية فانها لم يذكرا من اخبارها الا النزر القليل ، والاعجب من هذا ان ينزلق الى هذا التجني الفاضح مؤرخ مغربي شهد له بالموضوعية ، وسعة العلم وهو ابن خلدون ، [1] ان هذا الانحياز المؤسف جعل باحثا معاصرا يقرر بأن إهمال التاريخ للدولة الرستمية من شأن المؤرخين في المشرق الاسلامي ايضا ، [2] ونجد من بين الباحثين المعاصرين الاكاديميين من ضرب صفحا عن الدولة الرستمية ، فلم يرد لها ذكر في مؤلفه وكأنها لم تخلق قط بينما يذكر دويلات أقل أهمية ، ويدعي التاريخ « للثقافة والادب في المشرق والمغرب » واذا التمسنا عذرا للمؤرخين القدامى الذين كانوا يعيشون ظروفا اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة بحكم قربهم من هذه الصراعات الفكرية والمذهبية ، فاي عذر نلتمسه لدكتور جامعي يدعي الاستقلال الفكري ، والنزاهة الموضوعية ، وينشر كتابه بعد استقلال الجزائر بثلاثين سنة [3] ؟ !

على أن الذين يتحملون المسؤولية الكبرى في هذا الاهمال هم المعنيون بهذا التراث قبل غيرهم من الاباضية ، لأنهم لم يبذلوا أي جهد في ازالة التراب عن هذا التراث الذي ما يزال اغلبه في رفوف الخزائن الخاصة ، وقد عبثت السنون والارضة بالكثير منه ، وسوف يأتي يوم يدرك فيه أصحاب هذه الخزائن أنهم اساؤوا في حق المعرفة الانسانية كما اساؤوا في حق تاريخهم وحضارتهم .

(1) أنظر ، المدني احمد توفيق ، مدخل لدراسة الدولة الرستمية ، واسهامها في التطور الفكري والحضاري الملتقى الحادي عشر للفكر الاسلامي ، صفر 1397هـ/فبراير 1977م .

(2) أنظر تفاصيل اكثر في جودت عبدالكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، م.و.ك. الجزائر ، 1984 ، المقدمة .

(3) أنظر عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب م.و.ك. ط 3 ، الجزائر 1983 .

ونحن ، اذا ذكرنا هذا هنا فانما نذكره بألم شديد ، خاصة إذا علمنا أن كتابا مثل كتاب ابن الصغير في تاريخ الأئمة الرستميين أول دولة اسلامية مستقلة في الجزائر ، نفتقد اليوم مخطوطه في المكتبات الخاصة الاباضية وفي المكتبات العامة الجزائرية وغيرها ، وقد كان موجوداً في إحدى خزائن وادي ميزاب في بداية هذا القرن ،حيث اطلع عليه الإستاذ المستشرق (موتيلانسكي A. de C. Motylinski وذكر أنه ، في علمه ، لا توجد لذلك الكتاب أية نسخة خطية أخرى في مكان آخر ، فهل استولى عليها المستشرقون قبله . كما استولوا على كثير من تراثنا ، فافتقدتها خزائن ميزاب بطريقة إن دلت على شيء فانما تدل على تهاون أصحابها وذكاء وحيلة المستولي عليها ، وبعد هذا الاهمال الذي أدى إلى اختفاء المخطوط وضياعه ، استمررنا في الإهمال والغفلة ، ولولا أن الكتاب طبع ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر سنة 1905 م [4] لكان مصير الكتاب ، ولا شك ، الضياع والإختفاء ، فتلك إذن من جهة أخرى حسنة من حسنات الاستشراق الذي بالقدر الذي سطا به على تراثنا وحمله إلى بلاده وراء البحار ، بالقدر نفسه احتفظ على ذلك التراث وعمل على نشره ، وتصنيف مخطوطاته في مكتباته التي فتحها لجميع الدارسين . من هنا يجب أن نلوم أنفسنا قبل أي أحد آخر على اهمالنا وغفوتنا .

وظل الباحثون يرجعون إلى يومنا هذا إلى ذلك النص المطبوع ضمن أعمال المؤتمر المذكور ، وأصبح الحصول عليه عسيراً جداًّ ، وفي سنة 1975_1976 م طبع نفس النص العربي في مجلة العلوم الإنسانية لكلية

Actes du 14e Congrés international des orientalistes à Alger 1905 3ème partie imp. (4)
Orientale Paris 1908 – Texte arabe avec la traduction de Motylinski et sa préface,

الآداب بتونس وهي المجلة المعروفة بكراسات تونس [5] ، وذكر في سطور مدير المجلة الأستاذ طالبي محمد ، بأن إعادة طبع الكتاب تماماً مثلما فعله موتيلانسكي هو بعيد من أن يأخذ مكانه اللائق به ، وقال بأنه ليس في الإمكان إلا إعادته كما هو ، باستثناء تصحيح بعض الأخطاء الظاهرة البينة . وتفاءل أن تكون إعادة طبعه لهذا الكتاب سبباً وحافزاً لطبعة أجود . ثم ختم قائلاً « ولكن كيف الحصول على المخطوط ! » [6] .

وفي سنة 1976 م أي في نفس السنة ، أستلّ ما كتب في تلك المجلة عن ابن الصغير : النص العربي وتقديم موتيلانسكي وكلمة مدير المجلة فأعيد طبع ذلك دون زيادة أو نقصان (ربما بالأوفست) لأن الصفحات هنا تتناسب مع الصفحات هناك والذي تغير هو ترقيم الصفحات فقط ، وقامت بهذا الطبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس منشورات جامعة تونس ضمن سلسلة « معرفة المغرب » وتحت رقم XI [7] . وذكر على غلاف هذا الكتاب أن كراسات تونس رأت ضرورة إعادة طبع بعض النصوص التي نشرت في المجلة والتي أصبحت صعبة المنال بالنسبة للباحثين في تاريخ إفريقيا الشمالية .

هذا ما قامت به تونس ، وذاك ما قامت به فرنسا ، أما الجزائر التي يعتبر الكتاب كتاباً لتاريخها المباشر ومؤلفه جزائري تيهرتي سكن تيهرت في عهد الرستميين وكتب مشاهداته أو ما قيل له عن قرب ، فإنها لم تعمل

(5) Les cahiers de Tunisie, Revue des sciences Humaines faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3e et 4e trimestre 1975, pp. 315-368

(6) Ibid p. 313

(7) Faculté des lettres et sciences humaines de Tunis, Connaissance du Maghreb XI Publications de l'Université de Tunis 1976.

شيئا من هذا القبيل ، ومن هنا كان إهمالها لتراثها ، ومن هنا كان تسرب تراثها شرقاً وغربا ، فسبقت في هذا المجال ، فهلا من نهوض ويقظة ؟

إننا نقدم ابن الصغير في حلة جديدة معتمدين على النسخ المطبوعة المذكورة وعلى نسخة مخطوطة بحوزتنا للشيخ أبي اليقظان ابراهيم ، قام باستنساخها بنفسه من مطبوعة أعمال مؤتمر المستشرقين الآنفة الذكر .

ولقد عملنا قصارى جهدنا في تحقيق النص من جميع جوانبه ، فلم نترك حسب اعتقادنا ، أي مبهم يحتاج إلى فك ، أو أية كلمة غامضة تحتاج الى تفسير أو أي خطإ لغوي يحتاج إلى تصحيح ، فرجّحنا ما وجدنا سياق الكلام يحتمه مع ذكر النص الأصلي أو الكلمة الأصلية كما وردت في الأصل ، مخافة أن يكون اجتهادنا خاطئا ، ولقد ترجمنا للأعلام الواردة في النص بالقدر الذي وجدناه في المصادر الإباضية أو غيرها من المصادر المعتمدة ، وبيّنا بعض الأماكن الواردة في النص مهملين الأماكن المعلومة ، أما بعض المواضع التي لم نجدها في المصادر الجغرافية فقد ذكرنا ذلك . وأثبتنا الروايات التي تتفق أو تختلف مع الروايات في المصادر الاباضية ، وما سكتنا عنه من ذلك فهو ينفرد به إبن الصغير . وسوف يجد القاريء والباحث توضيحات أخرى في محلها من الهوامش أو المتن .

وقد رأينا اعادة نشر الخلاصة الفرنسية التي كتبها موتلانسكي حين نشره هذه الرسالة كاملة لأول مرة سنة (1905) في المجلة الافريقية ، فعلنا ذلك حتى يستفيد اولئك الذين لا يحسنون اللغة العربية بالقدر الذي يمكنهم من فهم امثال هذه البحوث ولعل ذلك خير ، كما قمنا بتعريبه تعميما للفائدة ومساعدة لاولئك الذين لا يحسنون الفرنسية ، ونود الاشارة هنا الى اننا قد لا نوافق موتلانسكي في كثير من الاراء التي ذهب إليها في

خلاصنه تلك ، وقد اكتفينا بابداء رأينا في التعليق على هوامش رسالة ابن الصغير .

كما قمنا بوضع عناوين صغيرة للرسالة الى جانب النص الاصلي اجتهدنا في أن تكون دالة على محتوياتها تسهيلا للقاريء العادي والباحث المتخصص ، واعتمدنا عليها في وضع فهرس موضوعات الكتاب وهو لم يكن موضوعا من قبل في النسخة الاصلية .

وإننا إذ نقوم بهذا العمل ، نرجو أن نكون موفقين فيه أوّلاً ، وأن يلبّي طلبات الباحثين في التاريخ الاسلامي ثانيا ، إننا نقدم هذا الكتاب إلى كل القراء والباحثين عامة وفي الجزائر خاصة لأنه كما ذكرنا سابقاً ، لم يسبق أن طبع في الجزائر أو بيع في مكتباتها رغم أنه طبع عدة مرّات، والله من وراء القصد .

ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا .

الجزائر في يوم 04 رجب 1405 هـ/26 مارس 1985 م

محمد ناصر

ابراهيم بحاز

ترجمة إبن الصغير والتعريف بكتابه

إبن الصغير هو مؤرخ الدولة الرستمية ، كما تسميه الدكتورة وداد القاضي[1] لا نعرف عنه شيئا كثيراً ، إلا ما ذكره هو بنفسه في كتابه .

عاصر إبن الصغير أواخر أيام الرستميين ، وذكر أنه رأى الإمام أبا اليقظان بن أفلح (261ـ281 هـ) الذي يقول عنه « وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه »[2] ، فإبن الصغير إذن من سكان تيهرت الرستمية ومن رعايا الرستميين ، ولا نعرف بالضبط هل هو من مواليد تيهرت أم أنه هاجر إليها من مدينة أخرى أو من بلد آخر ، ولعلّ هذا الإحتمال الثاني أرجح ، يرجحه قوله « وقد لحقت أنا بعض أيامه » ، فالظاهر من هذا الكلام أنه جاء غريباً إلى تيهرت في أواخر أيام أبي اليقظان واستوطنها ، واستقرّ فيها كما استقر غيره قبله وفي هذا يقول إبن الصغير « ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ..... حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري وهذه لفلان القروي .... »[3] ، فهو هنا ينسب المدينة للإباضية أو للرستميين « ينزل بهم » ولا يعتبر نفسه واحداً من أهلها ، ويبدو لنا أنه إمّا

---

(1) وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، مطبعة البعث قسنطينة ، الجزائر 1387هـ/1977م .

(2) ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ، ص 34 .

(3) نفسه ، ص 6

أن يكون كوفيا أو بصرياً أو قرويًّا ، يتضح لنا هذا من قوله أيضا في مناظرة جرت بينه وبين أحد الإباضية ، فقال له هذا الإباضي « من أين زعمتَ وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق ... »[4] ، فابن الصغير على ما يبدو لم يكن من مواليد تيهرت وإنما استوطن تيهرت ابتداءً من أواخر دولة أبي اليقظان بن أفلح الذي توفي سنة 281 هـ حسبما ذكره إبن الصغير نفسه [5] .

أما إذا تساءلنا عن مذهب مترجمنا ، فالذي نراه أنه إما أن يكون مالكيًّا أو شيعيًّا ، ولعل الإحتال الثاني أقرب إلى الصواب ، فالنص الذي ذكرناه قبل قليل عن مناظرة مؤرخنا مع أحد وجوه الإباضية الذي قال له « من أين زعمتَ وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق » إن هذا النص يشير إلى كون إبن الصغير حجازي المذهب أي مالكيًّا أو عراقي المذهب ، فالعراق في هذه الفترة يعج بالفرق والمذاهب ولكننا نحتمل أن يكون القصد به هنا المذهب الشيعي .

إن إبن الصغير كثيراً ما أشار إلى ميوله العلوية ولعلّ أبرز ذلك إيراده لحديث « من كنت مولاه فعلي مولاه » فهذا الحديث الذي استشهد به إبن الصغير على خصومه اعتقاداً بصحته في ذلك الوقت بالذات ، دليل على علويته ، لأن هذا الحديث ظل مدار مناقشة المحدّثين إلى يومنا هذا تقريباً بين معترف بصحته ورافض لذلك [6] فالشيعة العلويون بطبيعة الحال مؤمنون بصحة الحديث لأنه يخدم معتقداتهم وبالتالي فإبن الصغير لم

(4) نفسه ، ص 45

(5) نفسه ، ص 38

(6) الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ج4 ، ط2 ، المكتبة الاسلامية ، عمان 1404هـ/1983م ، ص 330 ، ومابعدها .

يستشهد بهذا الحديث إلا لكونه علويًّا شيعيًّا ، معتدلاً في نظرنا . هذا بالاضافة إلى ذكره بأن خطب الجمعة في تيهرت كانت خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[7] .

إننا نرجّح هذا وبهذه الأدلّة ونحن نشعر يقينا أن المسألة ما زالت بحاجة إلى أقلام وبحوث ، فلعلّ اجتهادنا يكون حافزا لغيرنا للتدقيق في الأمر أكثر .

ونختم إجمالا بالقول إن إبن الصغير لم يكن من مواليد تيهرت ، وإنما قصدها في أواخر أيام الإمام أبي اليقظان ، فاستوطنها كما استوطنها الغرباء الذين تحدث عنهم ، لذلك كان الشطر الأول من كتابه إخباراً وروايات استقاها ممن يثق بهم من الإباضية والشطر الثاني منه مشاهداته الخاصة . وبالنسبة لمذهبه فهو شيعي معتدل غالبا .

أما إذا جئنا إلى كتابه ، فإننا نفاجأ بداية بتعدد عناوينه ، مثل « أخبار الأئمة الرستميين » ، « تاريخ إبن الصغير » ، « سيرة إبن الصغير » ، وقد استعملت هذه التعابير كلها في الكتابات الحديثة ، إلا أن أول نشر له من قبل الأستاذ موتيلانسكي يحمل هذه العبارة « ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستميين منقول من إبن الصغير »[8] ، فلعل الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ناقص ، وهو ما يمكن فهمه من شبه عنوانه أو افتتاحيته المذكورة ، فذكر بعض الأخبار المنقولة من إبن الصغير لا تعني إلا انتقاء أخبار دون أخرى ، وإلى هذا تشير الدكتورة وداد القاضي فتقول بأن كتاب إبن الصغير وصلنا ناقصا إذ يسكت فجأة في إمامة أبي حاتم يوسف دون أن يشير إلى

(7) ابن الصغير : ص 32 ، 47 .

(8) Actes du 14e congrès international opcit, p. 9

نهاية الرستميين ، وتعلل هذا بقولها إن إبن الصغير لما تحدث عن فرس يعقوب بن أفلح الأشقر قال « لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده به يضرب المثل إلى اليوم »[9] وتقول الدكتورة علماً بأن الإمام يعقوب تولى الإمامة مباشرة قبل أبي حاتم ، فقوله « إلى اليوم » تعني بعد مدة ليست بالقصيرة ...[10] .

ويعتبر كتاب إبن الصغير المرجع الأول ، وربما الوحيد لتاريخ الأسرة الرستمية ، ويتهم الشيخ محمد مبارك الميلي لغته بالعامية[11] ، فهي إن كانت في بعض الألفاظ كذلك ، فالكتاب ككل لا يمكن وصف أسلوبه بالعامية في نظري ، وفي هذا يقول الدكتور محمود إسماعيل إن « أسلوبه ومنهجه كما يتضح في تاريخه للدولة الرستمية ينم عن طول باع في ميدان التاريخ »[12] .

ويبدو أن إبن الصغير ألّف كتابه حوالي سنة 290 هـ حسبما يرى ذلك مترجم الكتاب وناشره الأستاذ موتيلانسكي[13] ، ويؤكده كل من الأستاذ ليفسكي[14] ووداد القاضي[15] ، إذ تنتهي أحداث الكتاب في حكم أبي حاتم

(9) ابن الصغير : ص 43

(10) وداد القاضي : ابن الصغير ، مجلة الأصالة عدد 45 ، ص 40 ، من المعلوم أن الاباضية لا يعترفون بإمامة يعقوب بن أفلح ، وكذا إمامة اليقظان بن اليقظان وكلاهما قفز الى الإمامة دون مساندة من الاباضية فهم يتوقفون عند الامام أبي حاتم (قتل سنة 294هـ) فلعل هذا هو السبب في إهمال الاحداث الأخيرة للدولة الرستمية وذلك بعدم استنساخ الإباضية لها ، خاصة وأن المخطوط الذي وجده موتيلانسكي إنما وجده بميزاب ومن هنا كانت العبارة «ذكر بعض الأخبار» .

(11) الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر القديم والحديث ، ج2 ، الجزائر 1350هـ/ص 69 .

(12) محمود اسماعيل : الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت ، 1976 ، ص 9 .

(13) Actes du 14e Congrès, op,cit p. 4

(14) Lewicki T.: l'Etat nord-africain de Tahert et ses relations avec le soudan occidental cahiers d'études africaines vol II (8) Paris 1962, p.515.

(15) وداد القاضي : مجلة الأصالة عدد 45 ، م 40 .

الذي امتد إلى سنة 294 هـ ، ولم يتم إطلاعنا إلى اليقظان بن أبي اليقظان ، هذا إذا اعتبرنا الكتاب الذي بين أيدينا كاملا لم يسقط منه آخره .

أما إذا تحدثنا عن محتويات الكتاب فالحقيقة أن إبن الصغير جمع أخبار الأئمة الواحد تلو الآخر بالترتيب ، وأطنب في الحديث عن بعض الفتن ، كفتنة إبن عرفة أو المنافسة التي جرت بين الإمامين أبي حاتم وعمّه يعقوب على السلطة[16] . حتى ليخيل للقاريء أن إبن الصغير إنما ألف تأليفه لذكر الفتن والثورات التي مرت بها تيهرت ، ابتداء من الإمام الثاني عبد الوهاب إلى الإمام أبي حاتم يوسف .

واعتمد إبن الصغير في كتابة تاريخه على مصدرين : الرواية الشفوية وهي تسيطر على الجزء الأكبر من كتابه ، والمشاهدة التي لا تبدأ قبل فترة أبي اليقظان الذي عاصر إبن الصغير أيامه الأخيرة . وفي الرواية الشفوية يذكر إبن الصغير أحد رواته وهو أحمد بن بشير[17] الذي يبدو أنه إبن لأحد المقرّبين من الإمام أبي اليقظان ، مما يضفي أهمية على أخباره ومما يجعل مصادره قريبة من الأحداث التي يؤرخ لها .

إن الأمانة العلمية التي التزم بها إبن الصغير لم تمنعه ، كما تقول وداد القاضي من ممارسة حسه النقدي للروايات بصفته مؤرخا . وهذا ما يمكن ملاحظته في الروايات التي رواها . وتدور حول موضوع خطير في ذاته ، خطير في نتائجه وجدته ، إذ يشعر إبن الصغير بالتحرّج الشديد « وقد ظهر ذلك منه مرتين : الأولى عندما جاء في الرواية أن أفلح بن عبد

(16) ابن الصغير : ص 37 وما بعدها ، 53 وما بعدها .

(17) ابن الصغير : ص 48 ، وأنظر قبلها ص 45 .

الوهاب عمد إلى سياسة فرق تسد ... والمرة الثانية في قصة تأليب وجوه الرستميين لأبي بكر بن أفلح ضد إبن عرفة .... فالرواية هنا ذهبت إلى أن أبا اليقظان بالذات هو الذي قام بتحريض أبي بكر علي إبن عرفة وباقتراح منه .... »[18] .

ويكاد يخلو كتاب إبن الصغير من ذكر التواريخ ، أو ذكر أخبار الدولة الرستمية خارج تيهرت ، وكأنه خصصه لتاريخ تيهرت لا غير . وإذا أردنا ختاماً تقييم المؤلف على ضوء كتابه ، وقيمته التاريخية ، فإنّه لا يسعنا إلا إعادة تكرار ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن « القراءة الدقيقة لتاريخ إبن الصغير تدل على أن إبن الصغير لم يكن مجرد راوية للتاريخ وإنما كان مؤرخا حقًّا »[19] .

لهذه الأسباب كلها وللأهمية المذكورة للكاتب والكتاب نقوم اليوم بتقديمها رغم عدم عثورنا على المخطوط . ونشير إلى أننا أمام اختلاف وتعدد عناوين الكتاب رأينا ترجيح هذا العنوان :

☆ أخبار الأئمة الرستميين ☆

لأنه الأقرب إلى نص الكتاب ، وهو الأقرب إلى شبه العنوان الذي ظهر به أوّلاً .

(18) وداد القاضي : الأصالة عدد 45 ، ص 44 .

(19) نفس المرجع ص 49 ، وأنظر كذلك الدكتور محمود إسماعيل : الخوارج ، حيث يقول إن ابن الصغير أن مؤرخا دقيقا نابها . ص 9 .

تاريخ « إبن الصغير » عن أئمة تاهرت الرستميين

تأليف : موتلانسكي
ترجمة : د/ محمد ناصر

في دراسة منشورة سنة 1885 تحت رعاية مدرسة الآداب بالجزائر ، قدمت معلومات موجزة عن أئمة تاهرت الرستميين منسوبة الى مؤرخ يدعى « إبن الصغير » .

وسأقدم هنا ترجمة للنص الكامل لهذا المخطوط الذي لا يوجد منه - حسب علمي - سوى نسخة وحيدة بوادي ميزاب ، وكان المفروض أن تصحب (الترجمة) معلومات وافية عن الاصول العقائدية والتاريخية للاباضية ... عن بداية وتطور المذهب في المغرب (الاسلامي) ... معلومات عن الاحداث التي سبقت أو ساعدت على تأسيس تاهرت ، ولكن هذا العمل كما يبدو في إطاره المحدود الضيق ان هو سوى مساهمة متواضعة في تاريخ الخوارج بافريقيا وهو يحتاج الى دراسات أعمق مما دفعنا الى الالحاح على بعض التساؤلات التي عولج بعضها بطريقة مجزأة ، ولأهميتها فاني سأحيل (القاريء) الى سير أبي زكرياء المترجمة والموثقة من طرف الفقيد « ماسكاري »[1] .

وليسمح لي أن أذكر من بين المراجع ، الدراسات المتواضعة التي قمت بها

[1] يشير هنا الى كتاب «سير الأئمة وأخبارهم» المعروف بتاريخ ابي زكرياء وقد نشر مؤخرا بتحقيق اسماعيل العربي عن المكتبة الوطنية بالجزائر وكان قد ترجمه «ماسكاري» . أنظر Emile masquery, la chronique d'abou Zakaria Alger 1878.

عن اباضيـة الشمال الافريقي وهي : القرارة منـذ تـأسيسهـا [2] ، جبـل نفوسة [3]، العقيدة الاباضية [4] ، وقد نشرت هذه الدراسة الاخيرة بالمجلد الذي صدر عن مدرسة الآداب بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر الذي يجمعنا [5] .

ان تاريخ إبن الصغير يعد من أقدم الوثائق المتعلقة بتاريخ اباضية المغرب ولا يمكن ادراجها ضمن هاته السير المؤلفة من طرف المؤرخين الاباضيين ، مثل سيرابي زكرياء ، وطبقات الدرجيني ، وجواهر البرادي ، والسير للشماخي ، وغيرها من الدراسات الثانوية التي تكون في مجموعها ، الأسس الحقيقية لتاريخ اباضية ميزاب ، واخوانهم بجربة ، وجبل نفوسة ، ذلك لأن عمل إبن الصغير هو عمل مؤرخ أجنبي عن المذهب يسكن تاهرت الرستمية تحت حكم آخر حكامها ، ان عمل ابن الصغير هو عمل مسلم لا ينتمي الى المذهب الاباضي عاش تحت حكم الدولة الرستمية في آخر أيامها ، دفعه حب الاطلاع الى جمع معلوماته عن عبد الرحمان بن رستم وخلفائه من أفواه اباضية تاهرت إنفسهم .

ان تاريخ إبن الصغير يتوقف عند حكم أبي حاتم يوسف الذي خلف أباه أبا اليقظان سنة (281 هـ) وقد خلع أبو حاتم من الحكم وخلفه يعقوب بن أفلح ثم عاد الى الحكم مرة ثانية ، وابن الصغير لا يخبرنا عن الحوادث العنيفة المأساوية التي سبقت بسنة أو بسنتين تدمير تاهرت من طرف الداعية أبي عبد الله (الشيعي) سنة (296 هـ) مما يدل على أن إبن الصغير كتب تاريخه حوالي (290 هـ) .

(2) يشير الى كتابه : **Guerrara depuis sa fondation**

(3) أنظر مؤلفه : **Le Djebel Nefousa**

(4) أنظر : **L'aquida des Ibadhites. receuil de memoires et de textes publié en l'honneur du XIV congé international des orientalistes. Alger 1905. Paris. 1908.**

(5) يعني به المؤتمر العالمي للمستشرقين المنعقد بالجزائر في 1905 .

واذا نظرنا الى قيمة هذا العمل من حيث هو تاريخ عام للاباضية فانه لا يكتسب هذه القيمة التي يكتسبها تاريخ أبي زكرياء ، بل هو أشبه ما يكون بحكاية موجزة عن أمراء الرستميين كما هو وصف لمدينة تاهرت الاباضية ، وصف لحياتها ونزاعاتها الداخلية والخارجية هذه النزاعات التي أدت الى سلسلة حروب طويلة بين الاخوة .ومع ذلك فان هذه السيرة تبقى ذات أهمية لمن يريد معرفة بعض الحوادث والاخبار التي مر عليها المؤرخون الاباضيون مرور الكرام أو أنهم أغفلوها محافظة على دور الزعامة الدينية تنزيهاً وحرصا على عدم الاضرار بسمعة المذهب [6] .

أسست تاهرت سنة 144 هـ من طرف عبد الرحمن بن رستم في الظروف التي يعرفها الجميع ، وسرعان ما ازدهرت وكثر سكانها المتكونون أساسا من جماعة قادمة من نفوسة تابعة أمامها (عبد الرحمن) ومن بعض المهاجرين من افريقيا ، غير أن الاباضية المتجمعين في المدينة الجديدة لم يسندوا الامامة الى عبد الرحمن الا حوالي 160 هـ أو 162 هـ حسب أبي زكرياء .

فورنيل (Fournel) يظن أنه من المنطقي اعتبار حكم عبد الرحمن يبدأ من السنة نفسها التي أسست فيه تاهرت (البربر ، ص : 91،90) ، انه على العكس تماما اذ من الطبيعي اعتبار بداية امامته سنة 160 هـ . والواقع أنه ينبغي ألا ننسى أن أبا حاتم الملزوزي ـ الذي يعتبره المؤرخون السنيون مجرد زعيم لثورة البربر ـ قد عينه الاباضية (اماما للدفاع) سنة 145 هـ واستطاع بذلك أن يتزعمهم ويجمع حوله كل قوى الخوارج حتى

(6) يبدو موتيلانسكي هنا مبالغا لان ماورد في تاريخ ابن الصغير عن الفتن الداخلية لا يختلف عما ذكره أبي زكرياء مثلا .

(7) لم نهتد الى هذا المصدر المشار اليه هنا .

سنة 155 هـ السنة التي قتل فيها أبو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم .

هذه الكارثة التي أدت ـ حسب النويري ـ الى افناء ثلاثين ألفا من البربر وهي ضربة موجعة للخوارج اذ كانت السبب ، غالبا في حركة الهجرة من نفوسة ومن هوارة ومن القبائل الأخرى نحو المغرب الأوسط فرارا من سلطة يزيد بن حاتم ، وهكذا تجمع الاباضية حول عبد الرحمن بن رستم ، وبذلك تزايدت جماعاتهم وارتفع سكان مدينة تاهرت مما سمح بسكان المدينة والبادية الاباضيين بمنح اسم « الامام » لزعيمهم عبد الرحمن بن رستم ، وهكذا تأسست في قلب المغرب مملكة بربرية يحكمها أمراء اباضيون من أصل فارسي ، ويتتابعون في الحكم حتى سنة (296 هـ) .

المؤرخون يذهبون الى أن امامة عبد الرحمن دامت ستّ أو ثماني سنوات ، ولكن المؤرخ إبن الصغير يخبرنا ببساطة وبحسن نية ، وياللأسف بأنه نسي عدد سنوات حكم عبد الرحمن ، وبشهادة الجميع فان عبد الرحمن كان مثالا للبساطة والزهد والنزاهة ، ويخلفه ابنه عبد الوهاب الذي حكم مدة طويلة دامت أربعين سنة وكانت السنوات الأولى لحكمه هادئة سعيدة ، ولكن سرعان ما كثرت النزاعات ، والصراعات المتسترة بنظريات دينية حول الامامة وأحقيتها ـ وهي التي طالما حلّلها أبو زكرياء ـ كما راح عنصر البدو يطمحون ـ كما كانوا يفعلون ذلك في النجود والصحراء ـ الى القيام بدور بارز في تسيير شؤون المدينة والتأثير مباشرة في الامامة ، وهنا نرى أول انشقاق داخل المدينة ويتولد عنه ظهور فرقة « النكار » ، وهكذا سال الدم من هنا وهناك ، مما أدى الى قتل ميمون بن عبد الوهاب من طرف المنشقين ، وحسب رواية أبي زكرياء فان الامام نفسه لم يفلت من ضرباتهم الا بفضل حزمه ، ويقظته ، ان المدينة البربرية حيث كان الاتحاد

والوفاق سائدا أصبحت لها صفوفها وقد أخذ التفرق والتحزب يعمل حتما على انهيار المملكة .

وخلف أبو سعيد أفلح أباه عبد الوهاب ، وكان حكمه أطول حكم عرفته الدولة الرستمية اذ دام خمسين أو ستين سنة ، كان متصفا بالحزم والشجاعة ، وقد تهيأ للزعامة بفضل الحروب التي لعب فيها دورا ملحوظا ، وقد تخول للتسيير قبل وفاة أبيه واستطاع أن يحكم بكل جدارة واستطاعت تاهرت أن تشهد في عهده تحولا هاما ، وبفضل حنكته السياسية استطاع أن يجمع حوله القبائل ويحصل على هيبتها مع المحافظة على السلم والاستقرار بين الاباضية وغيرهم من سكان المدينة أما أبو بكر إبن أفلح فلم يصل الى الحكم ، بعد وفاة أبيه الا بفضل غياب اخيه ابي اليقظان الذي سجنه العباسيون حين ذهابه لاداء فريضة الحج[8] ، وكان أبو بكر فارسا وسيما يحب الآداب واللهو ، ولا يملك صرامة اسلافه مما جعل صهره محمد بن عرفه يسيره كما يشاء .

وبعد عودة أبي اليقظان من المشرق أخذ يتهيأ في سرية تامة للوصول الى الحكم متظاهرا بالاحترام التام لأخيه ، وكان يعمل جاهدا لاكتساب الشعبية ، واستطاع بذلك أن يجمع حوله جماعة نفوسة ذات الأهمية فهي معروفة بمساندتها الدائمة للأسرة المالكة الرستمية ، واغرى أبو اليقظان أخاه ليتخلص من محمد بن عرفه الذي بدأ يقلقه ، ولكن اغتيال هذه الشخصية التي كان لها تأثير معتبر في المدينة أدى الى حرب أهلية طويلة .

وهكذا اضطر ابو بكر الى مغادرة المدينة حيث أصبحت الفوضى ضاربة أطنابها لعدة سنوات .

(8) سجنه الواثق مع أخيه المتوكل ببغداد ثم أطلق سراحه هذا الأخير بعد توليته الحكم .

أما ابو اليقظان فقد أوى الى قبيلة (لواته) مع نصرائه الذين استطاع ان يكسبهم الى جانبه وهنا نصِب اماما ، ووجد نفسه ملزما بالعودة الى المدينة والاستعانة بقوات نفوسة وطرابلس ، وبمساعدتهم استطاع أن ينتصر على آخر المقاومين ، ويأخذ السلطة نهائيا .

ان كتاب السير أغفلوا الحديث عن نهاية أبي بكر كيف كانت ، وإبن الصغير يقرر أن مدة حكم أبي اليقظان دامت أربعين سنة ، ويحدد سنة موته بعام (281 هـ) .

ويخلف أبا اليقظان ابنه حاتم يوسف الذي جاءت به الى الحكم احدى الفرق بالمدينة دون موافقة القبائل الأخرى وهو ما جعل مدة حكمه - التي يقول المؤرخون أنها دامت احدى عشرة سنة - مليئة بالحروب الاهلية الدامية .

ان موقعة (مانو)[9] (283 هـ) كانت الضربة القاضية للخوارج في المغرب الشرقي وهزت سلطة بني رستم في جميع الانحاء .

ثم ان اسرة بني رستم اصبحت متعددة منقسمة على نفسها بسبب الإحن والحروب وهو ما ساعد ولا شك ، على اضعاف سلطة الحكام الرستميين وأصبحت القبائل تملك سلطة مصير الحكام الذين أصبحت تعينهم كما تشاء وتهوى ، وبهذه الصفة رأينا طرد أبي حاتم من المدينة والتجاءه الى قبيلة هوارة المتحالفين معه لحرب عمه يعقوب بن أفلح الذي عيّن اماما خلفا له ، استطاع عزله بدوره وبمساعدة القبائل دائما استطاع استرجاع الحكم .

وهنا يتوقف تاريخ إبن الصغير ، ونستطيع عن طريق أبي زكرياء أن

(9) أنظر تفاصيل هذه الواقعة بتاريخ أبي زكرياء . ت.اسماعيل العربي الجزائر 1979 ، ص 103 .

نعرف أن يعقوب بن أفلح استطاع الفرار من تاهرت ابان سقوطها في شوال من سنة (296 هـ) ويلجأ الى مدينة ورجلان مع ولده ابو سليمان .

أما بالنسبة لأبي حاتم الذي يذكره ابو زكرياء في الصفحات (217-218)[10] فان حكمه انتهى بعد قتله من طرف أخيه اليقظان أو من طرف أبناء هذا الاخير ونعلم أن اليقظان - الذي لم يستطع الحفاظ على الحكم الا مدّة قليلة - قتله الداعي أبو عبد الله الشيعي مع عدد كبير من عائلة بني رستم .

وهكذا تزول تاهرت الاباضية بعد (152 سنة) من الوجود وتخمد دولة بني رستم التي طبقت الامامة مدة (134 أو 136 سنة) .

ان تسلسل الاحداث التاريخية لهذه الاسرة ما يزال غير ثابت ، ولا يمكن الاطمئنان الى التواريخ التي يقدمها إبن الصغير أو آخرون عن مدد حكم الامراء الرستميين ان هذه المدد ثلاثون .... أربعون ... أو خمسون سنة ان هي الا أرقام عشرية تقريبية ، والواقع أن المرء يستطيع بعد جمع هذه الأرقام التي تؤرخ مدة حكم الرستميين - دون عدّ مدة أبي بكر ويعقوب - أن يدرك أن مجموعها يتجاوز المدة التي عاشتها الدولة الرستمية نفسها . وفي هذا الشأن يمكن الرجوع الى الجدول التاريخي الذي أعده (رينيه باسيه Rene Basset) بعد مقدمة بحثه القيم مزارات جبل نفوسة[11] .

(10) لم يوضح موتيلانسكي هنا النسخة التي اعتمدها . وهي ولا شك مخطوطة لكن يمكن الرجوع الى تحقيق اسماعيل العربي لكتاب سير الأئمة لأبي زكرياء ص 99

(11) يشير هنا الى كتاب Basset R. les sanctuaires du djebel neffoussa. Paris. 1889.

ذكر بعض الاخبـار في الأيمـة الرستميين منقول من إبن الصغير .

ولاية عبد الرحمن بن رستم

أخبرني غير واحد من الاباضية عن من تقدم من آبـائهم قالوا لما نزلت الاباضية [1] مدينـة تـاهرت [2] وارادوا عمـارتهـا اجتمع رؤساؤهم فقالوا قد علمتم انـه لا يقيم امرنـا الا امـام [3]

---

(1) الإباضية فرقة من الفرق الإسلامية ، يرجع بروزهـا إلى النصف الثـاني من القرن الأول الهجري ، ونسبت إلى عبد الله بن إبـاضي التميمي الذي كان في الحقيقة لا يصـدر في أمره إلا عن الإمام جابر بن زيد الأزدي التابعي ، إذ يعتبر هذا الأخير عنـد الإبـاضيـة أس المذهب وإمـامه . واشتهرت الإباضيـة ضمن فرق الخوارج ، فهي وإن كان ظهورهـا مرتبطـا بتلك الحركة ، إلا أنها انشقت عنهـا لما ظهر غلـو بعض المتطرفين من الخوارج ، فبرزت فرقـة مستقلـة منفصلـة عن الخوارج منذ بداية النصف الثاني من القرن الأول الهجري . أنظر الدرجيني : طبقات المشائخ ، ج 2 ص 205 ، الشماخي : سير ، ص 77 ، عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضيـة ، ص 44 ومـا بعدها ، مهدي هاشم طالب : الحركة الاباضية في المشرق ، (رسالة ماجستير غير مطبوعة) بغداد ، 1977 . بحاز ابراهيم : الدولـة الرستميـة (رسـالـة مـاجستير نـوقشت في بغـداد سنـة 1983 م) ، ص 73-80 .

(2) من المعلوم أن الإباضية نزلوا موضع تاهرت ، وهم الذين بنوا المدينـة فيما بعد ، وليس كما يمكن أن يفهم من نص إبن الصغير الذي جعل تاهرت مدينة مبنية نزلها الإباضية . ولا بـد من الاشارة إلى أن لفظ تيهرت أضبط من تاهرت ، كما أن تيهرت أو تاهرت مدينتان قديمة وحديثة ، وتقع تيهرت (العاصمة الرستمية) على بعد 9 كيلو مترات من تيهرت اليوم ، وتبعد عن مدينـة الجزائر العاصمة في الشمال الشرقي منها بحوالي 430 كلم وتفصلها مسافة 240 كلم عن مدينـة وهران في الشمال الغربي منهـا . أنظر البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقيـة والمغرب ، ص 67-68 ، أبـو الفـداء : تقـويم البلـدان ، ص 138 أبـو زكريـاء : سير ، ص 53 ، أطفيش : الرد على العقبي ، ص 70 وأنظر خاصة بحاز ابراهيم : الدولـة الرستميـة ، الفصل الثـاني من البـاب الأول ص 81 ومـا بعدها .

(3) تنقسم الإمامة عند الإباضية إلى أربعة أقسام تعرف بمسالك الدين وهي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان . أنظر شروح هذه الأنواع من الإمـامـة في مقدمة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع ، ص 69-72 ، عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضيـة في شمال

رجع اليه في احكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي اليه زكاتنا ويقسم فينا ، فقلبوا امرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه راس او راسان او اكثر يدبر أمر القبيل ويستحق امر الامامة فقال بعضهم لبعض م رؤساء ولا نأمن ان يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته ...ل المقدم ان يرفع اهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد ...يات ويكثر الاختلاف ويقل الإئتلاف ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم[4] لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه وقد كان الامام أبو الخطاب[5] رضي لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا فقلدوه اموركم فان عدل فذلك الذي اردتم وان سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه . فأجمعوا رايهم على ذلك ثم نهضوا اليه مبايعته إماما

افريقية في مرحلة الكتمان ، ص 109-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 . والجدير بالذكر أن نص إبن الصغير يشير إلى إمامة الظهور .

(4) عبد الرحمن بن رستم (160 هـ - 171 هـ) مؤسس الدولة الرستمية ، تكاد المصادر جميعا تتفق على أن عبد الرحمن فارسي الأصل حتى الذين عاصروا الرستميين مثل اليعقوبي تجعلهم من الفرس إلا أن إبن الصغير لا يشير صراحة إلى هذا النسب وإنما يذكر أن عبد الرحمن لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة تحميه . أما المسعودي فيرى أن الرستميين من الأشبان الذين اختلف في نسبهم فمنهم من يقول أنهم من ملوك فارس الأولى ، ومنهم من يذهب إلى أنهم من ملوك الأندلس اللذارقة (جمع لذريق) والمسعودي مع هذا الرأي الأخير . حول نسب عبد الرحمن بن رستم أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، الفصل الثاني من الباب الأول « عبد الرحمن بن رستم حياته ونسبه » ص 92 وما بعدها . وارجع إلى : اليعقوبي : البلدان ، ص 104 المسعودي : مروج الذهب ، ج 1، ص 186 ، 357-358 .

(5) أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني ، أحد حملة العلم من الإباضية إلى المغرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتمان في البصرة بعد جابر بن زيد الأزدي . التقى أبو الخطاب اليمني ببعثة المغرب في مدرسة البصرة وتتكون تلك البعثة من عبد الرحمن بن رستم وعاصم السدراتي وأبي داود القبلي النفزاوي وإسماعيل بن درار الغدامسي . مكث الجميع في البصرة عند أبي عبيدة مدة خمس سنوات (135 هـ - 140 هـ) فتكونت بذلك ، ما

باجمعهم وقالوا يا عبد الرحمن رضيك الامام في ابتدائنا[6] ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على انفسنا فقد علمت انه لا يصلح امرنا الا امام نلجأ اليه في امورنا ونحكم عنده فيما ينوب من اسبابنا . فقال لهم ان اعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا الي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فاعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدموه على انفسهم والقوا اليه بايديهم . فسار بهم بسيرة جميلة حميدة اولهم وآخرهم ولم ينقموا عليه في احكامه حكما ولا في سيره سيرة[7]، وسارت بذلك الركبان الى كل البلدان ، وكانت له قصص حكوها لا يمكن ذكرها الا على وجه ، وان اتم الصدق فيها ولا احرفها على معانيها ولا ازيد فيها ولا انقص منها ، اذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروؤات ولا من أخلاق ذوي الديانات ، وان كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذاهبهم مستقلين ، فنحن وان ذكرنا سيرهم على ما اتصل

يعرف عند إباضية المغرب . بحملة العلم الخمسة . ولما همت البعثة بالرحيل والعودة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي ، إقترح عليها شيخها أبو عبيدة إن آنسوا من أنفسهم قوة وأرادوا إعلان إمامة إباضية ، أن يعقدوها لأبي الخطاب وكان كما اقترح إذ بويع أبو الخطاب بالإمامة سنة 140 هـ واستطاع أن يدخل القيروان سنة 141 هـ . فعين عبد الرحمن بن رستم والياً عليها أو قاضيا وناظراً بتعبير إبن الصغير . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 37 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 19، 23، 29 . محمد إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، ص 64-65 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 65 .

(6) يشير هنا إلى تعيين أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري عبد الرحمن بن رستم والياً على القيروان سنة 141 هـ .

(7) تكاد رواية إبن الصغير توافق الرواية الإباضية فيما يخص تولية عبد الرحمن بن رستم أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 53-54 ، الدرجيني : طبقات ج 1 ص 41 .

بنا وعدلهم فيا ولوه فلسنا ممن تعجبه طلاوة افعالهم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم ممن والاه رسول الله ﷺ وقال « من كنت مولاه فعلي مولاه »[8].

عدل عبدالرحمن

اخبرني غير واحد من وجوه الاباضية عن سلفهم ، لما ولي عبد الرحمن بن رستم ما ولي من أمور الناس شمر ميزره واحسن سيرته وجلس في مسجده للارملة والضعيف ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، فطار ذلك في اطراف الارض مشارقها ومغاربها حتى اتصل ذلك من اخوانهم من اهل البصرة[9] وغيرها من البلدان ، فلما علموا ذلك من أمره جمعوا اموالا عظيمة وبعثوا بها مع نفر من ثقاتهم ، وقال بعضهم لبعض : قد ظهر بالمغرب امام ملأه عدلا ، وسوف يملك المشرق ويملأه عدلا ، فانهضوا اليه بما معكم من هذه الاموال حتى تردوا المدينة التي سكنها فان كان على ما نقل لنا من حسن طريقته وصحة سيرته فادفعوها اليه ، وان كان على غير ذلك فانظروا الى افعاله وما يتولاه من الاحكام بين رعيته ثم آتونا بذلك كله ، فمضى القوم حتى اتوا

معونة اباضية المشرق لعبدالرحمن

(8) حديث « من كنت مولاه فعلي مولاي ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » حديث صحيح أخرجه الترمذي ، المجلد الرابع ، صفحة 327 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ويذكر ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة هذا الحديث تحت رقم 1750 . وبعد ذكره عدة طرق للحديث قال « وللحديث طرق أخرى كثيرة ، جمع طائفة كبيرة منها الهيثمي في المجمع ، وقد ذكرت وخرجت ما تيسر لي منها مما يقطع الواقف عليها بعد تحقيق الكلام على أسانيدها بصحة الحديث يقيناً ، وإلا فهي كثيرة جداً ... قال الحافظ إبن حجر منها صحاح ومنها حسان » الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط 2 ، م 4 ، المكتبة الإسلامية عمان ، الدار السلفية الكويت 1404 هـ/1983 م . ص 330،343 .

(9) يقصد هنا إباضية البصرة ، إذ من المعلوم أن البصرة هي مهد الإباضية ومنها انطلق المذهب الإباضي نحو مختلف الآفاق .

المدينة ونزلوا المصلى الذي به اليوم قبر[10] مسالة ، فاناخوا جمالهم ووضعوا احمالهم وتقدموا مع القادمين معهم حتى دخلوا من الباب المعروف بباب الصفا[11] يسألون كل من لقوه من الناس عن دار الامام عبد الرحمان ، حتى وقفوا عليها واصابوا عند بابها غلاما يعجن طينا ورجلا على سطح يصلح شقاقا فيه ، والغلام يناوله ما يصلح به فسلموا على الغلام فرد السلام ثم قالوا هذه دار الامام ؟ فقال نعم ، فقالوا له استأذن لنا منه وأعلمه أنا رسل اخوانه اليه من البصرة ، فرفع الغلام رأسه الى سيده وقد علم انه سمع كلامهم ، فقال قل للقوم يصبروا قليلا ، ثم اقبل على ما كان عليه من اصلاح عمله حتى انقضى والقوم ينظرون اليه وهم شاكون فيه هل هو صاحبهم ام لا ، حتى نزل عن سطحه الى داره فغسل ما كان بيده من أثر الطين ثم توضأ وضوء الصلاة فأذن للقوم فدخلوا عليه فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته التي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره ، فسلموا عليه وأعلموه أنهم رسل إخوانه اليه ، فأمر غلامه باحضار طعامه فاتاه بمائدة عليها قرص سخنت وسمن وشيء من ملح ، فأمر بتلك القرص فهشمت وأمر بالسمن فلثت به ، ثم قال : على « اسم الله » أدنوا وكلوا ثم أكل معهم

(10) في نسخة الشيخ أبي اليقظان وردت (بئر مسالة) ولعل ذلك من تصحيحاته .

(11) من المعروف أن لتيهرت أربعة أبواب فبالإضافة إلى باب الصفا الذي ذكره إبن الصغير هناك باب الأندلس وباب المنازل وباب المطاحن ، أنظر البكري : المغرب ، ص.66 ، الباروني : الأزهار الرياضية ، ج 2 ، ص 27 .

بأكلهم ، فلما انقضى طعامهم قال : ما مرادكم وما جاء بكم ؟ فقالوا له نحب ان تاذن لنا حتى نخلو فيما بيننا ثم نكلمك بعد ذلك فقال افعلوا فجلسوا نجيا فقال بعضهم لبعض يكفينا من السؤال عنه ما رأينا منه من اصلاحه لداره بنفسه ، ومطعمه وملبسه ، وحلية بيته ، فما نرى الا ان ندفع اليه المال ولا نشاور احدا فيه ، وكان الذي معهم من المال ثلاثة احمال . فأجمع رأيهم على حمل المال اليه ، ورجعوا اليه ثم أقبلوا عليه ، فقالوا ، أعزك الله ، معنا ثلاثة احمال من المال بعث بها اليك اخوانك لتنفق بها على زمانك وتصلح به شأنك . فقال هذه الصلاة قد حضر وقتها ونحن نخرج الى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به ، فقالوا الامر اليك . فخرج وخرجوا حتى اتوا المسجد الجامع فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته نادى مناد الا يتخلف من كل قبيلة وجوههم ففعل الناس ذلك ، فلما انفض الناس وبقي من يفوض اليه الامر من وجوههم ، قال للرسل اعلموا اخوانكم لما جئتم له ؟ فأعلموهم بمثل ما أعلموه ، ثم عطف على الناس فقال ما ترون ، فقالوا ان هذا رزق ساقه الله الينا من طوع اخواننا بلا سؤال منا فنرى ان ترسل الى هذا المال وتحضره بين يديك فتجعل منه ثلثا في الكراع[12] وثلثا في السلاح وثلثا في فقراء الناس وضعفائهم ، فقال للرسل قد سمعتم ما يقول اخوانكم فما تقولون ؟ قالوا نقول

(12) الكراع إسم يجمع الخيل والسلاح وربما المقصود به في نص إبن الصغير الخيل فقط . أنظر إبن منظور : لسان ، م 3 ، ص 245 .

سمعا وطاعة ، فاحضروا المال فقال عبد الرحمن أريد ان تقيموا حتى يصرف المال في وجوهه ثم تنصرفون الى اخوانكم فتعلمونهم ذلك ثم جزّأوا المال اثلاثا امتثال ما عقدوا عليه وذلك بمحضر من الرسل ، ثم قال للرسل انصرفوا على بركة الله اذا شئتم[13] .(وأنه لما وصل المال ، واشتروا للقوم الكراع والسلاح وقوي الضعيف وانتعش الفقير حسنت احوالهم

رخاء وأمن الدولة الرستمية

وخافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون ان يغزوهم ، ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الاموات[14] وغرس البساتين واجراء الانهر[15] واتخاذ الرحاء[16] والمستغلات[17] وغير ذلك ، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأتتهم الوفود والرفاق من كل الامصار واقاصي الاقطار ، فقال[18]: ليس احد ينزل بهم من الغرباء الا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم[19] لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة

(13) لاتختلف رواية ابن الصغير عن رواية المصادر الاباضية إلا في بعض الإضافات . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 54 ، الشماخي : سير ، ص 140 .

(14) إحياء الأراضي الميّتة .

(15) النهر جمعه أنهار ونُهُر ونهور لذلك يكون « الأنهر » خطأ ابن منظور لسان ، م 3 ، ص 728 .

(16) الرّحي تجمع على أرح وأرحاء ورحيّ ورِحي وأرحية والأخيرة نادرة لذلك يكون استعمال « الرحاء » خطأ . ابن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .

(17) المستغلات وردت في الأصل المستقلات وهي لا معنى لها . أما المستغلات فهي من أصل كلمة غلّة ومعناها الدخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض ، واستغلال المستغلات : أخذ غلتها .وأغلت الضيعة : أعطت الغلّة . ابن منظور : لسان ،ج 2 ، ص 1010 .

(18) فاعل الفعل « قال » ضمير مستتر تقديره من أخبر إبن الصغير من وجوه الإباضية وكثيراً ما يستعمل إبن الصغير هذه الطريقة فيذكر الفعل « قال » أو « قالوا » ويهمل الفاعل .

(19) وردت في الأصل أظهارهم وهي خطأ لأن جمع « ظهر » أظهر وظهور وظهران . إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 655 .

امامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ، حتى لا ترى دارا الا قيل هـذه لفـلان الكـوفي ، وهـذه لفـلان البصري ، وهـذه لفـلان القروي ، وهـذا مسجـد القرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجـد الكوفيين ، واستعملت السبـل الى بلـد السـودان[20] والى جميـع البلـدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ، فأقاموا على ذلك سنتين او أقل من ذلك او اكثر ، والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطـار تـاجرون فلما كانت السنـة الثـالثـة اجتمعت الإبـاضيـة بـالمشرق وتراسلوا فيما بينهم ، وقـدم القوم وجمعهم البصرة فقال بعضهم لبعض ، اذا اتصلت بهم الاخبـار من كل الاقطار مع ما جاءتهم به رسلهم مما عاينوه وشاهدوه ، امامكم بـالمغرب خلف من ابي بـلال مرداس بن اديـة[21] ومن ابي حمزة الشـاري[22]، فـلا تـدخروا عنـه مـالا ولا تحبسـوا عنه

الازدهـــار التجـــاري والعمراني

(20) السـودان كلمـة أطلقهـا الجغرافيـون العرب المسلمـون وهم أول من أطلقها على الشعوب السـوداء التي تسكن إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى والراجح أن الكلمـة مستوحـاة من لون بشرة تلك الأقوام . وينقسم السـودان إلى ثلاث مناطق هي :
السـودان الشرقي والسـودان الأوسط والسـودان الغربي ، ولعل إبن الصغير يشير إلى السـودان الأوسط والغربي . أنظر الكتب الجغرافية القديمة مثل بلدان اليعقوبي أو مسـالك وممالك الإصطخري وإبن خرداذبة وغيرهم ، وراجع دائرة المعارف الإسلامية مادة « السـودان » م 12 ، ص 347،334،327 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 206 وما بعدها .

(21) أبو بلال مرداس بن أدية التميمي ، من الشراة الإباضية الذين ثاروا ضد ولاة بني أمية في المشرق . أنظر ترجمته في : المبرد أبو العباس محمد بن يزيد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ، ص 82،52 . الـدرجيني : طبقـات ، ج 2 ، ص 226-214 . عـوض خليفـات : نشـأة الحركـة الإباضية ، ص 65 وما بعدها .

(22) أبو حمزة الشاري هو المختار بن عوف الأزدي ، قام بثورة عارمة في الحجاز في أيام الخليفة الأموي مروان بن محمد (127-132 هـ) . أنظر ترجمته في إبن الأثير : الكامل ، ج 4 ، ص 316،314،307،297 . الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 272-258 ، عوض خليفات : نشأة ، ص 117 وما بعدها .

عطاء وابعثوا اليه بجميع مـا بـايـديكم ليتقوى بـه على دينـه ودنياه ، فانكم تنالون بذلك شرفا عاجلا وغناء آجلا ، فأجمع رايهم على ان يوجهوا اليه بعشرة احمال من المـال وارسلوا الى رسلهم الاولين وأعلموهم بما جمعوه من المـال . وان ذلـك كلـه في سر وخفـــاء من العمال والاجنـاد لئـلا يطلعـوا عليهم فيهلكوهم ، وسـألـوهم كتمان ذلـك فـأجـابتهم الرسـل الى مـا دعوهم اليه من حمل الاحمال وتوجيههم بها الى عبد الرحمان ، فلم تزل بذلـك حتى اتت البلد ونزلت بـالموضع الـذي نزلت بـه أولا ، ثم توجهت نحو عبـد الرحمن فـوجـدوا الامـور قـد تبدلت واحوال المدينة والاشياء قد حالت وذلـك انهم نظروا الى قصور قد بنيت والى بساتين قـد غرست والى ارحـاء قـد نصبت والى خيـول قـد ركبت والى حفـدة قـد اتخـذت السور[23] والعبيد والخدام قـد كثرت فلمـا رأوا ذلـك تحولت نياتهم الى ان قصـدوا قصر صـاحبهم فلقوه على مـا عرفوا من التواضع فلم يعلموه بما أتوا بـه ولا مـا حركهم اليـه حتى لقوا رجـالا ممن يثقون بهم في دينهم[24] ويسنـد اليهم في امـورهم فسـألوهم عن أحـوال عبـد الرحمن هـل تغيرت وعن احكامـه هل تبدلت ، فقالوا بل هو على ما عاينتموه عليـه ، مـا تغير ولا تبدل ، ثم أعلموهم بما جاءوا به من المـال وعـدد الاحمـال فقـالـوا لهم ادفعـوهـا اليـه فـانـه لا يصرفهـا الا في وجههـا

المعونة الثانيـة ورفض عبـــدالرحمن قبولها

(23) لعل المقصود بـالسـور هنـا هو الأبنية إذ السـور هو كل منزلة من البنـاء ، أنظر لسـان العرب ، م 2 ، ص 237 مادة « سور »

(24) وردت في الأصل « أديانهم » وهي ضعيفة .

ومواضعها وما نحسبه يقبلها منكم . فاخذوا بقولهم ثم اتوا عبد الرحمن فسلّموا عليه واعلموه بما قدموا به وبحال من خلفوه من اخوانه فسر بذلك . وسألهم عن احوالهم هل هم مستضعفون ام هم مستظهرون[25]، وهل في سائرهم فقراء او اصحاب فاقة ، أم لا . فأعلموه انهم مستترون غير ظاهرين ، وانهم مستضعفون غير قادرين ، وان بجماعتهم مثل ما بجماعة الناس من الغناء والفقر . ثم وعدهم ان يحضروا المسجد الجامع بعد صلاة الظهر ليعلموا اخوانهم بما قدموا به ، ففعلوا ذلك ، فلما انصرف الناس من صلاتهم . نادى منادي عبد الرحمان ان يتخلف وجوه الناس وينصرف سائرهم ، ففعلوا ذلك . وكان عبد الرحمن قد أمر الرسل بإحضار المال الى المسجد الجامع ليقف عليه ويرى عدده . ففعلوا ذلك . فلما انصرف عوام الناس . وتخلف وجوههم . أمر بالاحمال فاحضرت ، ثم قال للرسل تكلّموا فتكلمت الرسل الى الناس بمثل ما كلمت عبد الرحمان . فقال عبد الرحمن للناس ما ترون ؟ قالوا الامر اليك . فقال إذ اردتم الامر الي فإني أرى أن ترد هذه الاموال الى أهلها فيدفعونها لمن يستحقها من فقرائهم وضعفائهم . فإنا انما كنا قبلنا ما قبلنا منهم في اول بدء امرهم للحاجة التي كانت بنا اليه والفاقة التي لزمت عوام اخواننا . فالآن اننا مستغنون عن اموال غيرهم . فشق كلام

(25) يقصد بهذه العبارة أ إباضية المشرق في إمامة الكتمان أم في إمامة الظهور ارجع لمعرفة هذه الأنواع من الإمامة إلى : أبو حفص بن جميع : مقدمة التوحيد ص 69-72 ، عوض خليفات : النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ، ص 109-113 .

عبد الرحمن على الرسل وعلى جماعة من الناس فعاودوه على ذلك مرة بعد اخرى بالأيمان الغليظة فكرّرها[26] على نفسه الا اقبل منها دينارا ولا درهما ولا أدخل في يدي شيئا من ذلك ، فلما استيأس الرسل والناس من ذلك ، أمر برد الاموال الى اهلها . وانصرف الرسل بالاموال حتى وصلتها ؛ فعظم بذلك عند القوم حظ عبد الرحمن وزاد في قدره ، ورأوا انه لو كان طالبا دنيا لرغب في الاموال ، فعند ذلك رغب القوم في امامته ورأوا انها فرض عليهم[27]، ثم لم تزل الرسل تختلف وتطلع الاخبار عن الاحوال . والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله ، والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت امواله ممتلأة ، واصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب ، واهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في اوان الطعام فيقبضون اعشارهم في هلال كل ...[28] من اهل الشاة والبعير ، يقبضون ما يجب على اهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون ، فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام الى الفقراء وبيعت الشاة والبعير ، فاذا صارت اموالا دفع منها الى العمال بقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر في باقي سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر باحصاء من في البلد وفيما حول البلد ثم امر باحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم امر

النظام الاداري والاقتصادي

(26) وردت في الأصل « فكرها » ولعل الصواب ما أثبتناه في المتن .

(27) أنظر رواية المساعدات والأحمال من المشرق في المصادر الإباضية ، وتكاد تتفق مع ما ذكره إبن الصغير : أبو زكرياء : سير ،ص 54 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، 45-46 ، الشماخي : سير ، ص 140-141 .

(28) هكذا وردت في الأصل ، ويبدو أن كلمة سقطت لم ينقلها موتلنسكى أو لعلها وردت كذلك في المخطوط الذي نقل عنه .

باحصاء ما في الأهراء[29] من الطعام ، ثم أمر بجميع ما بقي من مال الصدقة فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع في كل اهل بيت بقدر ذلك ، ويؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه[30]، ثم ينظر الى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين وما اشبه ذلك ، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم . ثم إن فَضَلَ فَضْلٌ ، صرفه في مصالح المسلمين . فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه ولا طاعن يطعن عليه . الى أن اخترمته المنية ، وأنقضت أيام مدته . وقد كنت وقفت على عدد امارته كم كانت ، ولكن نسيتها مع مرور الايام[31]، وكان قد نشأ له في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب . وكان محمود الافعال ، وكان قادرا للقيام بعده فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية الامر اليه بعده .

وفاة عبدالرحمن

(29) الأهراء جمع هُري وهو بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان . أنظر إبن منظور : لسان ، م 3 ، ص 801 .

(30) إذا كان إبن الصغير يشير إلى أن عبد الرحمن كان يؤثر بأكثر أموال الزكاة أهل الفاقة من مذهبه . فلا شك أن ذلك راجع إلى أن أغلب السكان من الإباضية ، وبالتالي يكون أغلب دافعي الزكاة من الإباضية وزكواتهم تعود إلى أهل مذهبهم كما أن زكاة غير الإباضية ترد إلى فقراء غير الإباضية . أما أن يمنعوها كلها فهذا ما لم تشر إليه المصادر بل تثبت العكس تماماً . وعن حق غير الإباضية في الزكاة في الدولة الإباضية أنظر الدليل والبرهان لأهل العقول لأبي يعقوب يوسف الوارجلاني ، ج 3 ، ص 53-54 . الجيطالي اسماعيل : قواعد الاسلام ، ج 1 ، ص 104 .

(31) تولى عبد الرحمن بن رستم الإمامة مدة إحدى عشرة سنة أي من سنة 160 هـ حتى سنة 171 هـ ، أنظر الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 99، 101، 159-163 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 118-119 وأنظر رأيا آخر في : جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، ص 62 .

ولاية عبد الوهاب[32] وما كان من امره

اخبرني بعض الاباضية ان عبد الرحمان بن رستم لما مات ، قامت الاباضية فعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب ، فكان ملكا ضخما وسلطانا قاهرا ، وعلى يديه افترقت الاباضية ، وافترق كبراؤهم ، وتسمى قوم منهم بالنكار[33] وتسمى منهم قوم بالوهبية[34] ، وهذا الاسم لست اعرفه ، وقد سمعت انهم إنما سموا بهذا الاسم لاتباعهم عبد الوهاب ، والذي اعرف من اسمائهم على ما حدثني به اهل المعرفة ان فرقة منهم يسمون باليزيدية يريدون من اتبع عبد الله بن

(32) عبد الوهاب بن عبد الرحمن (171-208 هـ) ثاني الأئمة الرستميين أنظر ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 56 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 47 وما بعدها ، الشماخي : سير ، ص 144 وما بعدها .

(33) النكار : هم أتباع يزيد بن فندين أبو قدامة النكاري ، وسموا بالنكار لأنهم أنكروا إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن وثاروا ضده . ولقد تطورت هذه الفرقة التي انسلخت عن الإباضية الأم . والجدير بالذكر أن إبن الصغير يفسر سبب تسمية النكار بهذا الإسم (أنظر الصفحة التالية) تفسيراً مخالفاً لما ذكره المؤرخون الإباضية . فربما هي حادثتان اختلطتا على إبن الصغير ولكن من المؤكد أن الرواية الإباضية هي الأصح والأرجح . أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58-65 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48-56 . الشماخي : سير ، ص 146-154 . عوض : النظم ، ص 116 .

(34) الوهبية هي الإباضية الأم الحاكمة في الدولة الرستمية . وهي نسبة إلى الإمام عبد الوهاب . وظهرت التسمية إثر فتنة النكار السالفة الذكر . أنظر خاصة عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية ، ص 117 . وهناك من ينسب الوهبية إلى عبد الله بن وهب الراسبي . أنظر جواهر البرادي .

يـزيـد[35] ، وبـالعمريـة يريـدون من اتبـع عيسى بن عمر وبعده احمد بن الحسين[36] ، ورايت من يسمى بـالـوهبيـة يميلون الى هذين المذهبين[37] ويسمون أيضا بـالعسكريـة ، وهم اهـل العسكر[38] ، وجـل من كان عنـدنـا في البلـد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم ، وكان عبد الوهاب هذا قـد اجتمع

الازدهـــار

(35) اليزيدية وهم أتباع عبد الله بن يزيد . ولعل ما قاله الدكتور عوض خليفات من أن النكار سموا باليزيدية نسبة ليزيد بن فندين له جانب من الصحة ومن هنا فمن المحتمل أن يكون اليزيدية هم النكار لا غير ولعل هذه التسمية أطلقوها على أنفسهم رافضين كلمة « النكار » التي هي تسمية مخالفيهم لهم . ونشير هنا إلى أن الشهرستاني ذكر « اليزيدية » وقال بأنهم أتباع يزيد بن انيسه وأن هذا كان يتبرأ من جميع فرق الخوارج ويتولى الإباضية وذكر لليزيدية عدة اعتقادات باطلة . فندها ابن حزم وقال بأن جميع الإباضية يكفرون من قال بشيء من تلك المقالات ويتبرؤون منه . إلا أن إبن حزم يجعل اليزيدية نسبة إلى يزيد بن أبي أنيسه . أنظر ابن حزم : الفصل في الملل ، ج 4 ، ص 188-189 الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج 1 ، ص 183 . عوض خليفات : النظم ، ص 116 .

(36) العمرية وهم أتباع عيسى بن عمر وأحمد بن الحسين . لا نجد لهم ذكراً في كتب الملل والنحل . وقد أشار إليهم أبو زكرياء في سيره ونقل عنه الدرجيني وقال بأن العمرية أو العمرانية لا تجمعهم بالإباضية الكلمة من أول الأمر وأنهم يزعمون أنهم إباضية ويسندون مذهبهم إلى عبد الله بن مسعود (ض) وهم تبع عيسى بن عمير . أبوزكرياء : سير ، ص 58 . الدرجيني : طبقات .ج 1 ، ص 47-48 .

(37) إذا كانت اليزيدية كما قلنا سابقا نسبة إلى يزيد بن فندين النكاري ، والعمرية تنسب نفسها إلى الإباضية وهي ليست منها ، فلا يعقل أن يكون الوهبية ، وهم الإباضية الأصل في شمال افريقيا ، يميلون إلى هذين المذهبين كما يقول إبن الصغير . والذي نراه أن معلومات إبن الصغير فيما يخص المذاهب والفرق التي انشقت عن الإباضية ، معلومات مرتبكة لا دقة فيها . وقد أشرنا إلى هذا في مسألة « النكار » (أنظر هامش 33 صفحة 37) ويتضح هذا الارتباك أيضا في قوله « وهذا الاسم لست أعرفه ... والذي أعرف من أسمائهم على ما حدثني به أهل المعرفة ... » . وقد [illegible] هذا النص .

(38) العسكرية وهم أهل العسكر كما يقول إبن الصغير ويضيف بأن جل من كان في تيهرت من النفوسيين يتسمون بهذا الإسم . فلا شك إذن أن تكون هذه التسمية تسمية وظيفية وليست مذهبية كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ، خاصة وأن ابن الصغير جاء بها في معرض حديثه عن الافتراق في الإباضية والمذاهب المنشقة . فالعسكرية إذن هم حماة الرستميين والإباضية ولا أدل على ذلك من قول الإمام عبد الوهاب : « إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاتة » فنفوسة إذن كانت جند وعسكر الإمامة الرستمية .

له من أمر الاباضية وغيرهم ما لم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له ما لم يـدن لغيره ، واجتمع لـه من الجيوش والحفـدة مـا لم يجتمع لأحد قبله ، ولقد حكى لي جماعة من النـاس انه قـد بلغت سمعتـه الى ان حـاصر مـدينـة طرابلس وملأ المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كـذلـك وعلى ذلك وامور الناس مجتمعة وكلمتهم واحدة لا خارج عليـه ولا طاعن ، الى ان حدثت الفرقة ولم يكن لأبيـه عبـد الرحمان كتـاب معروف من تـأليفه ، وكان لعبـد الـوهـاب كتـاب معروف بمسائل نفوسة الجبل[39] ، لأن نفوسة كتبت اليـه في مسائل أشكلت عليها فأجابها عن كل مسألة مما سألت عنـه ، وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عنـدهم معلومـا يتداولونه قرنـا عن قرن ، الى ان لحق الفصل فـاخـذتـه عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه .

والرخـاء ايـام حكمه

(39) يذكر الأستاذ محمد علي دبوز هذا الكتاب باسم « نوازل نفوسة» ويقول بأنه لا يزال موجوداً في مدن ميزاب وجبل نفوسة وجربة . وقد رأينا كتاباً بهذا العنوان في مكتبة الشيخ بلحاج بالقرارة ، تصفحناه كله وهو يحتاج إلى تحقيق نسبته إلى عبد الوهاب . وقد قام الشيخ اطفيش امحمد بترتيبه . أنظر دبوز : المغرب الكبير ، ج 3 ، ص 272-273 . والبرادي : الجواهر . ص 219 .

بيان السبب الذي كان له وجه الافتراق

اخبرني غير واحد من الاباضية وغيرهم ، أن قبائل مزاتة وسدراته وغيرهم ، كانوا ينتجعون من أوطانهم التي هم بها من المغرب وغيرها في أشهر الربيع الى مدينة تاهرت واحوازها لما حولها من الشلأ[40] وغيره ، وأنه لما أراد الله تبارك وتعالى من امر شتاتهم ما اراد انتجعوا اليه في سنة الفرقة اكمل انتجاع ما انتجعوه[41] قط ولو مرة ، وكانوا اذا انتجعوا دخل وجوههم ورؤساؤهم المدينة ، فيبرون ويكرمون ثم يخرجون الى شياههم وبعيرهم فيقيمون بها الى ظعنهم ، وانه لما كان الوقت الذي اراد الله ونزلوا المدينة خلا بهم وجوه اخوانهم ، فخلت مزاتة ببيضات المزاتة ومقاديمهم وخلا كل قبيلة من سكان المدينة بمن انتجع اليهم من رؤسائهم ، فقالوا لهم ان الامور قد تغيرت والاحوال قد تبدلت ، قاضينا جائر ، وصاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وإمامنا لا يغير من ذلك شيئا ، وقد جاء الله بكم فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن قاضيه وصاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وان يولى علينا خيارنا ، فاجابوهم

(40) الشلا : بقية المال ، ولعل الصواب الكلأ والخطأ من الناقل .

(41) وردت في الأصل هكذا « أكمل انتجاع انتجعوه قط » والتحريف واضح .

الى ما يسألون من ذلك ، فغدوا[42] على عبد الوهاب (أوْفى كانوا)[43] فلما دخلوا عليه تكلم متكلمهم بحمد الله واثنى عليه ، فقال له ان رعيتك قد ضجت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم ، وولى عليهم خيارهم[44] ، فقال عبد الوهاب : جزاكم الله من وفد خيرا فقدْ تمَّ من الاسلام ما يفتقده من كان مثلكم ، الامر اليكم قدموا من رأيتم واخروا من رأيتم ، فدعوا له واثنوا عليه ، فقالوا خيرا ثم انصرفوا ، فلما انصرفوا دخل على عبد الوهاب وجوه رجاله وقواده واهل بطانته ، فقالوا : ما بال اخواننا اتوك اليوم بأجمعهم فأخليت لهم مجلسك وحجبت من سواهم ؟ فذكر لهم ما قالوا له وما أشاروا عليه ، فقالوا له : وما أجبتهم به ؟ فذكر لهم جوابه ، فقالوا له : أسأت الى نفسك والينا والى جميع اخوانك ورجالك ، فقال : وكيف ذلك وما سألوا شططا وما قالوا الا خيرا ؟ فقالوا : ليس نظرهم عند ما قلت ولا معناهم عند ما رأيت ولكن سألوك ان تعزل قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك ، فاذا فعلت ذلك شكروك وحمدوك ، ثم اتوك بعد ذلك فقالوا لك ان المسلمين قد نقموا عليك اشياء او على ولديك ، فان اجبتهم الى ذلك شكروك وحمدوك وان ابيت لهم من ذلك خلعوك ونبذوك ، ثم لا تأمن ، ولو اجبتهم

---

(42) وردت في الأصل فعدوا .

(43) هكذا وردت ، وهي شبه جملة زائدة لا معنى لها إلا أن تعني الكثرة إذا ما أضفنا إليها « ما » وتصبح « أوْفى ما كانوا » ورغم ذلك تبقى غامضة ركيكة .

(44) وردت في الأصل « وولى عنهم » وهي لا تؤدي المعنى المقصود

الى كل ما سألوك ان يأتوك فيقولوا لك ان المسلمين في ابتداء امرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم امرهم . فان اجتمعوا عليك جملة فزت بحظك وكان ذلك زيادة لك في شرفك ، قال : فما الذي افعل الآن فقد تقدم من جوابي لهم ما تقدم ، وقبيح لمثلي ان يرجع فيما قال ، فقالوا : لا عليك نحن نذكرك ان شاء الله ، فقال اذكروا على بركة الله ، فقال القوم : يأتونك بالغداة ويستخبرونك قلت لهم الامر على ما كنت معكم عليه الا ان لنا ولكم اخوانا لا غنى لنا ولكم عنهم ، يحضرون خلع من خلعتم ، وعزل من عزلتم ، وتقديم من قدمتم فاذا قالوا لك ما في هذا من بأس فابعث الينا فنحن نكفيك الجواب ، فحمد لهم عبد الوهاب قولهم وشكر لهم فعلهم ، ثم قال : انصرفوا على بركة الله ، فلما كان الغد ، غدا القوم على عبد الوهاب فلما دخلوا عليه واخذوا مجالسهم ، استخبروه على ما عقدوه معه ، فقال لهم : الامر اليكم غير انه بقي من اخواننا من لا غنى بنا وبكم عنه في عزل من تعزلون وتقدمة من تقدمون ، ويقبح بنا وبكم ان يستأثر بهذا الامر دونهم لأن في ذلك فسادا لنياتهم وتغييرا لقلوبهم ، فقالوا : صدقت وبررت احضرهم فانهم سيجمعون على ما عقدناه ، فأرسل اليهم ، فلما دخلوا واخذوا مجالسهم ، اقبل عبد الوهاب على القوم فقال : اخبروا اخوانكم بما جئتم به وما سألتموه ، فاخبروهم بما كان من رأيهم ورأي امامهم ، فقالوا جزاكم الله عن الاسلام وعن المسلمين خيرا ولكن بقي شيء أنتم تعلمون انه لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة تظهر عليه ، ولا

يجب عزل القضاة ببغي البغاة وسعي السعاة فأفحم القوم ولم يكن عندهم جواب ، الا ان قالوا ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالامس ، ما هذا الا رأي حدث او امر أبرم ، ثم خرجوا حتى اتوا الكدية[45] المعروفة بكدية النكار وخرج اليهم من هو مثل حالهم وحلفوا الا يدخلوا العرب[46] او يعزل ما سألوا عزله ويحاكموا عبد الوهاب ومن معه ، فسموا من ذلك اليوم النكار ، وسمي الموضع بكدية النكار[47] ، ولما علم عبد الوهاب بمقامهم وحاجتهم وانهم غير مقلعين عما ذكروه او يحاكمونه ، جمع وجوه رجاله ورؤساء مقالته فاستشارهم فأجمع رأيهم على ان يبرزوا اليهم بعد الاعذار والانذار اليهم ، فأعذروا اليهم فلم يجيبوهم الى شيء مما عرضوه عليهم ، وخوفوهم سوء العقوبة ، فلما رأى ذلك عبد الوهاب ومن معه برز اليهم ، فما كان الا كلمح بالبصر الا وجميعهم صرعوا ، الا من شد وولى ، ولم يتبعوا موليا ولا أجهزوا لهم على جريح ، ثم انصرف عبد الوهاب نافلا بمن معه وولت القبائل الداعية الى مواضعها ، واستملك الامر لعبد الوهاب وبقيت حزازات النفوس في قلوب عشائر من قتل ، ثم اشتد امر عبد الوهاب وقوي عليه وانتقل من حال الامامة الى حال الملك .

فتنة النكار

(45) الكديـة هي المكان المرتفع عن الأرض وهي أيضا صلابة تكون في الأرض ، ولعل المقصود بها ههنا المكان المرتفع في مدينة تاهرت . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 3 ص 232 .

(46) هكذا وردت في الأصل ولعلها محرفة من العرض أي الناحية أو لعلها الحرب وتكون « وحلفوا إلاّ يدخلوا الحرب أو يعزل ما سألوا عزله » .

(47) لا نجد هذه الرواية في المصادر الإباضية . ولقد ذكرنا أن تسمية النكار تختلف عند الإباضية عما ذكره إبن الصغير . والرواية الإباضية في رأينا أرجح ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 58 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 48 وما بعدها . الشماخي : سير ، ص 146 وما بعدها .

الافتـــراق الثاني

اخبرني بعض الاباضية ان جمع الناس من هوارة وغيرها من القبائل ، كانوا بازاء مدينة تاهرت ، وكان لهوارة رؤساء مقدمون يقال لهم الاوس ويعرفون بعد ببني مسالة ، قد ذكر لي بعض الاباضية انه كانت ابنة جميلة لبعض رؤساء البربر اما لواتة او غيرهم ، فخطب مقدم الاوس على نفسه او على ابنه فاجابوه الى ذلك . وان بعض من كان يناويء بني اوس من هوارة ، سعى الى عبد الوهب فقال له ان فلانا قد خطب على نفسه او على ابنه ابنة فلان ، وقد علمت مكانه من قومه ومقامه عند الخاص والعام من الناس . وإني لا آمن ان يزوجه ابنته . فاذا زوجه اياها وقعت المصاهرة . واذا وقعت المصاهرة صارت نسبة واذا انضمت قبيلة الى قبيلة ناوأك في البلد . ولكن اخطب الى هذا الرجل ابنته اما على نفسك او على ابنك او على من سوف يؤثرك عليه لسلطانك . فأرسل عبد الوهاب الى الرجل فأحضره فأجلسه . وخطب اليه ابنته فزوجه اياها ، فاتصل ذلك بالاوس فقال عمل علي في جارية خطبتها ورضي الي بتزويجها فانتزعها مني بسلطانه ، لا سألت بأرض هو بها☆ . وغضبت عشيرته لغضبه . فارتحل نحو المغرب حتى نزل

☆ هكذا وردت وهي ركيكة .

وادي هوارة وبينه وبين المدينة نحو من عشرة اميال او
... . فعمروا لنهر من اعلاه الى موضع اذاك قبائل من
...هم اسم هوارة . واحسب انه كان تقدم لهم عشائر من
...نرهم بهذا الموضع وتألف اليهم من نحا نحوهم وهوى
...واهم . ثم لم تزل السعاة تمشي بين الفريقين حتى اوقدوا نار
...ب . فحدثني بعض الشراة ممن تقدم من آبائه أن اول
... خرجت لهوارة اصابت ولدا للبغال☆ بدشرات[48] بنهر
... له نهر ابي سعيد الله فقتلوه . فلم يجزوا له راسا ولا
... له ثوبا ولا اخذوا له فرسا ولا سرجا ولا لجاما .
... . وثارت الصيحة الى المدينة فابتدر الناس فأصابوا
...لام قتيلا . واصابوا فرسه واقفا عليه بسرجه ولجامه
...ووجدوا ثيابه خلفه . فاغتموا لذلك اذ لم ياخذوا له سلبا .
... بعضهم لبعض افتقدوه فافتقدوه فاصابوا خاتما قد زال
... يده فكبر القوم وقالوا قد استحلوا الاموال وحل قتالهم .
... حملوا قتيلهم وصلوا عليه ووأروه ثم اخذوا في التهيء
الحرب والخروج الى عدوهم . فاجتمع الى عبد الوهاب امم

خروج عبدالوهاب لقتال بني أوس

...يرة وخلق عظيم . واتصل خبر عبد الوهاب بهوارة ومن
...الفها من الاباضية انه عد في عسكره الف فرس ابلق . قالوا
وخرج عبد الوهاب رضي الله عنه بعساكره من المدينة في
جموع لا يعلم عددها الا الله . قال واتصل خبر خروج عبد
الوهاب ببني أوس فجمعت جموعها وعبت كتائبها على نهر

(48) دشرات : لا يذكر إبن منظور هذه الكلمة وكذلك إبن دريد في جمهرة اللغة والزبيدي
في تاج العروس ونعنه تعنى ضيعة باللهجة العامية في المغرب .
☆ لم نفهم معنى «ولداً للبغال» والمرجع يقصد به آدمياً .

يقال له نهر اسلان[49] ، قالوا وكان عبد الوهاب اصابته ريح
فامر براحلته فرحلت وجعل عليها محملا وجعل عديله رجلا
من نفوسة وقائد راحلته رجلا من نفوسة ، قال وكان القائد
ربما عجل ، ويقول الجمال رويدا مرددا[50] فيقال له ويحك
انما قيل رويدا ، فيقول هو ذاك فلم يزل يسير حتى تراءت
العسكران قال فعبأ عبد الوهاب عسكره ، ورتب قواده
وعبأ بنو اوس هوارة على مراتبها وغيرها ممن اطاعهم ، قال
ثم جالت الخيل فكان قتال شديد له غبار سد ما بين
الخافقين ، قال وعبد الوهاب ينظر يمينا وشمالا او قلبا فاذا

شجاعة أفلح

صرف نظره ذات اليمين راى فارسا فيقول من الفارس هذا
قد أجفل[51] الناس ؟ فيقال له ابنك افلح ، قال واذا صرف
بصره ذات اليسار رأى مثل ذلك فيقول من الفارس ؟
فيقال له ابنك افلح ، قالوا واذا صرف بصره في القلب رأى
مثل ذلك فيقول من الفارس ؟ فيقال له ابنك أفلح ، قال
لقد استحق افلح الامامة . فكان اول يوم عقدت له
الامامة . قال فلم يزل الناس يقتتلون لا يولي بعضهم لبعض
الدبر الى ان سال الوادي ذلك اليوم دما فيما قيل .

فلما رأى عبد الوهاب الفريقين ، كان ينادي بأعلى
صوته يا دينار زم الخطام وتقدم قدما ، فكلما تقدم دينار
قدما فزع النفوسي زميل عبد الوهاب ، فخف جانبه من

(49) نهر اسلان ربما هو النهر الذي يذكره البكري في شرق مدينة إسلن التي تبعد عن
تاهرت غربا بأربع مراحل . أنظر المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، ص 79، 89-90 .
(50) في الأصل رُويداً مررد .... وهو تحريف ظاهر
(51) وردت في الأصل ... جفل ...

ولاية أفلح بن عبد الوهاب (55)

فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم . ونشأ له من البنين ما لم يكن لغيره من قبله . وطار له الصيت وأتته نفوسة الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من رآه . ولم يكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته . ولا في اعشاره . وكان أول ما امتحنته الشراة ان قاضيا من قضاة ابيه مات في ايامه فاجتمعت اليه وسألوه ان يولي القضاء من يستحق ذلك ، فقال لهم أجمعوا جمعكم وقدموا خيركم ، ثم اعلموني به أجبره لكم واعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم ، فقلبوا امرهم فلم يرتضوا احدا منهم ، واجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل اوراس ، فأتوا الى أفلح بن عبد الوهاب فقالوا قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرتض احدا منا وقد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري الساكن بجبل اوراس لخاصتنا وعامتنا وديننا ودنيانا ، فقال أفلح ويحكم دعوتم الى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذى القدر قدره ولا لذى الشرف شرفه ،

حكم الهواري وتوليه القضاء وعدله فيه

(55) أفلح بن عبد الوهاب (258.208 هـ) ثالث الأئمة الرستميين . أنظر ترجمته في المصادر الإباضية أبو زكرياء : سير ، ص 85 وما بعدها ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 72 وما بعدها الشماخي : سير ، ص 192 وما بعدها .

امامكم فاعلموه بما اعلمتم به وشاوروه في أموركم ، فقالوا قد فعلنا فقال على بركة الله ، فأنزلوه في الدار المعروفة بدار القضاء فاشتروا له خادما صفراء [56] واجروا عليه من بيت المال قوته وسار فيهم السيرة التي املوها منه ورجوها عنده [57] . فبينما هو على ذلك من امره ، اذا تنازع ابو العباس أخو أفلح المشير له والمرغب فيه وصهر الامام أفلح في أرض ، فارتفعا [58] الى أفلح أبو العباس أخوه والآخر صهره فقال لهما أفلح كلاكما يعز علي ولكن ارتفعا الى محكم ، وكان ابو العباس يحب ذلك لتقديمه للحكم وايثاره اياه وكان الآخر يكره ذلك ويحب ان لو كان أمرهما عند أفلح ، فاغتنم ابو العباس كلام أفلح وبادر الى بغلة له شهباء هملاجة [59] فركبها وكان صاحبه على رمكة [60] بطيئة المشي فأتى أبو العباس محكما فوجده خاليا في سقيفة داره ولم يَرَ مَعَ ابي العباس احدا ، فأجلسه محكم الى جنبه واقبل عليه يحدثه ، وخصمه تخلف على دابته فبينما هما كذلك اذ اقبل خصمه حتى نزل على باب دار محكم فلما رأى ابو العباس

(56) لا ندري ما المقصود بالخادم الصفراء مع العلم أنها وردت في الأصل هكذا : خادماً صفرا ، ولعل المراد به الخادم الشديد السواد لأن العرب يستعملون الصفرة أيضا للسواد . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 448 .

(57) لا نجد ذكراً لهذه الرواية في المصادر الإباضية اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن إبن الصغير وهو شيء قليل جدًا .

(58) وردت في الأصل « فارفعا » ولعلها تحريف .

(59) هملاجة : كلمة فارسية معربة وتعنى حسن سير الدابة في سرعة وبختره ويقال دابة هملاج ، ابن منظور : لسان ، ج 3 ، ص 831 .

(60) رمكة : هي الأنثى من البراذين التي تتخذ للنسل . ابن منظور : لسان ، م 1 ، ص 1227

وإن كان ليس احد منكم يحب ان يظلم ولا يظلم ولكن تحبون ان يجري فيكم الحقوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتهان لانفسكم قالوا فانا لا نرضى لقضائنا احدا غيره ، فقال الذي حدثني اخبرني ان أشد الناس بولاية محكم على أفلح أخوه أبو العباس . فقال أفلح اما اذا أبيتم غيره ، بعد نصيحتي فيكم ، فابعثوا رسلكم اليه على بركة الله ، فخرجت الرسل بكتاب من أفلح وكتاب من الشراة في داخل كل كتاب منها بعد اثبات بسم الله العظيم ، « اما بعد فقد نزل بالمسلمين امر لا غنى بهم عن حضورك وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين » . فلما ورد كتاب القوم على محكم ورسلهم ، أتى الى دابة له وركبها وأخذ كساه وعصاه ثم توجه نحو القوم حتى أتى البلد وقصد المسجد الجامع ونزله ، فابتدر اليه اصحابه فاحاطوا به ، وقالوا ان فلان ابن فلان القاضي توفي وقد اجمع رأي المسلمين ورأي الامام عليك ، واعلم انك مهما تخلفت عما دعوناك اليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حاله ، وكل فرج يوطأ بغير وجهه ، فاتق الله ولا تخالف الامام والمسلمين عما دعوك إليه ، فانك إن خالفتنا أجبرناك وإن أطعتنا شكرناك ، فقال لهم إن الحق مر ، أمر من شرب الدواء ولا يشرب الدواء الا كرها ، وانتم مرفهون ابناء نعم وغيري أحب اليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي ، وذكروا كلاما يطول ثم قال فاذا ابيتم الا هذا فارجعوا الى

خصمه قد نزل نادى بأسم جارية محكم فاستقاها ماء ليرى خصمه دلالته على القاضي ليودعه بذلك . فلما صار القدح الى الجارية قال الخصم في نفسه الى من احاكم ؟ خصمي جالس الى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره وانا ملقى على باب الدار لا يلتفت الي ولا ينظر نحوي ، قال ثم حانت منه التفاتة فاذا بالرجل جالس ، فقال ما بالك يا هذا وما قصدك ؟ فقال له جئت خصما لابي العباس فوجدته جالسا الى جانبك فجلست موضعي هذا ، قال فغضب محكم على ابي العباس فقال يا ابا العباس تأتي مع خصمك فتجلس الى جنبي دونه وتستقي الماء من داري على يد جاريتي ، يا غلام خذ بيد ابي العباس واقعده مقعد خصمه ولا يبرح ، وخذ بيد خصمه واقعده إلي ، ومر الجارية فلتسقه ماء ، ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج ابو العباس مغضبا حتى دخل على اخيه أفلح فلما رآه ، قال له مالك وما عراك ؟ قال نزل بي من هذا الهواري الشرس[61] الجافي ما لم ينزل بأحد ، فقال وما ذلك ؟ فدل عليه القصة من أولها الى آخرها ، فلما فرغ من كلامه ، قال له يا ابا العباس قد كنت اعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق اولى ان يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مداهنا ، فاتصل ذلك من كلامه بوجوه الاباضية فأعجبهم وسروا به[62]، وكان

عدل أفلح وازدهار دولته

(61) وردت في الأصل هكذا « الشر الجافي » وهي تحريف .

(62) وردت في الأصل هكذا « وأسرّوا به » وهي خطأ ظاهر . كذلك لا نجد مثل هذه القصة في المصادر الإباضية ومن هنا قيمة كتاب إبن الصغير .

افلح قد عمر في امارته ما لم يعمر احد ممن كان قبله ، فأقام خمسين عاما اميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ بابا من حديد وبنى الجفان واطعم فيها ايام الجفان[63] وقد تقدم ذكرها قبل هذا ، وعمرت معه الدنيا وكثرت الاموال والمستغلات واتته الرفاق والوفود من كل الامصار والافاق بأنواع التجارات ، وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة واجروا الانهر[64]، فأبتنى ابان وحمويه القصرين المعروفين لهما باملاق ، وابتنى عبد الواحد قصره الذي يعرف به اليوم وغيره ، مما يطول ذكره ، ولقد حدثني بعض من اثق به ان ابان وحمويه خرجا يوما الى قصورهما متنزهين ومعهما جماعة اخوانهما ، فذكر بعضهم انه قال لما اشرفنا على القصرين سبق بنا بعض عبيدهما فاعلموا سكان القصرين بقدومهما قال فتشوف من كان بالقصرين اليهما فوالله ما رأيت شرافة من القصرين الا عليها ثوب أحمر وأصفر على الجدار كالبدور ، وانتشرت القبائل وعمرت العمائر

(63) لعل الصواب « أيام الجفاف » مع أننا لا نستبعد كلمة أيام الجفان لأن الجفاف في الغالب يكون التعبير عنه بسنين الجفاف وليس الأيام ، كما أن قول إبن الصغير « بني الجفان » بدل صنع الجفان يعبر عن نظام للإطعام في أيام معلومات والدليل على ذلك قوله (إبن الصغير) « وقد تقدم ذكرها قبل هذا » أي تقدم ذكر أيام الجفان ، هذا مع العلم أنه لم يتقدم أي ذكر لأيام الجفان أو الجفاف وربما توهم إبن الصغير واعتقد أنه قد ذكرها . وبذلك فقدنا معلومات مفيدة عن أيام الجفان . والجدير بالذكر أن إبن الصغير أشار إشارة عابرة إلى « أوان الطعام » لما تكلم عن جباة الضرائب وعمال الزكاة الذين يخرجون في أوان الطعام . إرجع إلى صفحة 35 .

(64) سبق أن ذكرنا أن كلمة أنهر خطأ والصحيح أن يقال أنهار ونهر ونهور . ابن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 1144 .

فتزيل ملكه ، فلما رأى ذلك أرش[69] ما بين كل قبيلة ومجاورها فارش بين لواتة وزناتة وما بين لواتة ومطماطة وما بين الجند والعجم حتى تنافرت النفوس ووقعت الحروب ، وصارت كل قبيلة ملاطفة لأفلح خوفا من ان يعين صاحبتها عليها . فيما قالوا ، والله اعلم فيمن رأى ذلك[70]. استلقى على ظهره منا ومد يديه ورجليه مطمئنا ، وعلم انه قد كفى امرهم وبقيت تلك الضغائن في الصدور الى ان اخترمته المنية[71]، وكان ابنه ابو اليقظان حسن الحال عند الجميع منسوبا الى الورع فسأل اباه ورغب اليه في ان يأذن له في الحج فيخرج مع قافلة الناس حتى ورد مكة ، فلما طاف وسعى كشفته رسل بني العباس ، اذ قدموا معه من عندهم وقيل لهم ان ابن مقدم الشراة قد قدم من المغرب من عند ابيه يرتاد البلاد ويرسل رسله في كل الأفاق الى من كان على رأيهم ومذهبهم ليأخذوا الى انفسهم

سفر أبي اليقظان الى المشرق وحبسه وماكان من امره هناك

(69) أرّش حمل بعضهم على بعض أي حرّش .

(70) يشير هنا إبن الصغير إلى أمر خطير وهو إتهام الإمام أفلح بسياسة فرّق تسد ، وواضح من كلماته الأخيرة أنه يستبعد مثل هذه السياسة عن الإمام أفلح ولا يريد أن يتحمل المسؤولية لذلك يقول « ... فيما قالوا ، والله أعلم فيمن رأى ذلك » وانظر وداد القاضي : إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، عدد 45 ، ص 44 .

(71) سبق وأن ذكر إبن الصغير في صفحة 53 أن الإمام أفلح شمخ في ملكه خمسين عاما وبالتالي تكون وفاته سنة 258 هـ أي بعد 50 سنة من وفاة أبيه عبد الوهاب أما أبو زكرياء والوسياني وغيرهما فيذكران أن إمامة أفلح كانت ستين سنة في حين أن الدرجيني يجعلها تسعة واربعين سنة . أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 96 ، الوسياني : مخطوط ، ورقة 39 ، الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 320 أما في الجزء الأول من نفس كتاب الدرجيني فيكرر ما قاله قبله كل من أبي زكرياء والوسياني أنظر صفحة 83 من طبقات الدرجيني . وأنظر رأيا آخر : جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية ، ص 66 .

وكثرت الاموال بايديهم ، وكانت العجم قد ابتنت القصور ونفوسة قد ابتنت العدوة والجند القادمون من افريقية قد بنت المدينة العامرة اليوم ، وأمنت الساحات وكثرت الاموال حتى اطغت[65] اهل الحواجر[66] والبوادي ، لقد حدثني غير واحد انه كان للعجم مقدم يقال له ابن وردة قد ابتنى سوقا يعرف به فكان صاحب شرطة افلح اذا تخلل بالمدينة لافتقادها لم يجسر[67] ان يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة ، قال وكان الرجل من وجوه العجم الذين بقيت اليوم بقية تسمى من مجانة[68] وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الاموال وانكار المنكر في الاسواق والاحتساب على الفساق ، وكانت الاجناد بطانة السلطان واولاده وحشمه ، وكان لأفلح اولاد قد بلغوا من السن والتجارب والممارسة ما يستحق به كل واحد منهم الامامة ، الا ان الناس يترشحون من جمعهم الا اثنين احدهما يكنى بابي بكر والآخر يكنى بابي اليقظان ، وبهاتين من الكثير يعرفان . وكانت القبائل المنتشرة حول مدينة تاهرت لما اكتسبت الاموال واتخذت العبيد والخيول قد نالها من الكبر ما نال اهل المدينة حتى خاف افلح ان تجتمع الايدي عليه

(65) وردت في الأصل « أطفت » وهي تصحيف .

(66) أهل الحواجر ربما هم أهل الحجر وهم سكان البادية في مواضع الأحجار والرمال كما يقول إبن منظور في لسان العرب ، م 1 ، ص 571 أو لعلها أهل الحواضر .

(67) وردت في الأصل « لم يحبس » وهي لا تنسجم مع سياق الكلام .

(68) مجانة : لم نفهم وضعها في سياق الجملة لأنها مرتبكة ولعل المقصود بها مدينة مجانة في المغرب الأدنى أنظر البكري : المغرب ، ص 145.63 ، الحموى ياقوت : معجم البلدان ج 5 ، ص 56 .

الى ان يأتيه والده من المغرب ، فحمل ابو اليقظان من مكة وحمل معه رجل من نفوسه كان يخدم له حتى ورد بها مدينة السلام ، والعامل اذ ذاك المتوكل[72] او غيره ممن كان في عصره ، فأمر بحبسه . قال الذي حدثني ، عن ابي اليقظان انه قال وافق حبسي حبس أخ الخليفة[73]، كان قد نقم عليه ما نقم[74] قال فأمر بنا جميعا فحبسنا في موضع واحد ، قال وكان يجري علي في كل يوم مائة وعشرين درهما كا يجري على أخيه ، قال فما زالت جارية علي الى ان خرجت ، قال فلما خرجت واذن لي بالانصراف ، قيل لي أنظر الى من توصي بجرايتك[75] يقبضها لئلا يذهب رسمك من عندنا ويعفو ذكرك من دفاترنا ، قال وكان السبب الذي اذن الله بإطلاقي ان أخ الخليفة كان مؤالفا لي في الحبس ، شديد المحبة لي ، فلا يأكل طعاما ولا يشرب شرابا الا احضرني ، قال وكنت له كذلك ، قال فبينما نحن كذلك[76] وعلى ذلك اذ سمعنا الدنيا قد انقلبت وحركت

---

(72) المتوكل هو الخليفة العباسي العاشر تولى الخلافة بعد أخيه الواثق سنة 232 هـ وقتل سنة 247 هـ من قبل الجنود الأتراك . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 373 . فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، ص 51 وما بعدها . ويستبعد أن يكون المتوكل هو الخليفة العامل إذ ذاك لأن المصادر تذكر أن المتوكل هو الذي سجن في عهد أخيه الواثق .

(73) ربما يكون قد سجن مع الخليفة المتوكل الذي كان قد حبس في عهد أخيه الواثق (227 هـ ـ 232 هـ) أو سجن مع الخليفة المعتمد (256 هـ ـ 279 هـ) في عهد الخليفة المهتدي (255-256 هـ) إبن عم المعتمد . أنظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 392 . الطبري : تاريخ ، ج 9 ، ص 155 . إبن الأثير : الكامل ، ج 5 ، ص 278 .

(74) وردت في الأصل هكذا « فانقم » والصواب ما صححناه .

(75) جراية : وهي الجاري من الوظائف . والمقصود بها هنا الدراهم التي كان قد أجراها عليه الخلفاء العباسيون .

(76) وردت في الأصل هكذا « وعلم ذلك » وهو تحريف واضح .

حولنا ، واذا بالخليفة قد قتل ، وقدم صاحبي الذي في الحبس معي مكانه ، قال فما شعرنا ان دخلت له الصقالبة[77] والاجناد علينا فاختطف من بين أيدينا ، ولم يسم من حدثنا من كان الخليفة المقتول ولا من كان الخليفة القائم ، قال فلما استقل الملك بصاحبي وقعدت قواعده أمر بي فاخرجت وصيرني الى الوزير فامره بحفظي وكرامتي والنظر في أمري الى ان اجتمع معه ، مبرورا مكرما ، قال فبينما انا ذات يوم عنده انصرف من قصر الخليفة فوقف في صحن داري على فرس وخرجت اليه ووقفت معه ، فبينما نحن كذلك اذ اقبل عشرة اناس فنزلوا عن دوابهم وبدروا نحوه يقبلون يده ورجله ، فقال لهم اتدرون في ماذا أرسلت فيه اليكم ؟ فقال له اصلح الله الوزير ليس لنا في ذلك علم ، فقال اذا كان الغداة فأحضروني عشرة آلاف فارس ، فقالوا نعم اصلح الله الوزير ، قال فعجبت من قوله ومن قولهم ، وقلت يهزؤ بهم أو يهزؤون به ، أو أراد ان يظهر لي شيئا اتحدث به في المغرب لا اصل له ، قال فنظر الي والى انكساري ، فشعر بي ، فقال لي مالك يا مغربي أراك تعاظمك ما سمعت ؟ فقلت اصلح الله الوزير كيف لا يتعاظمني ، والله اصلحك لو كان ما سألتم دراهم في اكمامهم لما استطاعوا إحضارها اليك بالغداة ، وكيف عشرة آلاف

---

(77) الصقالبة ويقصد بهم الأتراك الذين كانوا في هذه الفترة قد سيطروا سيطرة تامة تقريبا على الخلفاء العباسيين يولون من يشاؤون ويعزلون أو يقتلون من يشاؤون ، أنظر فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979 .

فارس ! فقال لي يا مغربي ترى هؤلاء العشرة قلت نعم قال تحت كل واحد منهم عشرة ، كم هذا معك ؟ قلت مائة قال وتحت يد كل واحد من المائة عشرة كم هذا معك ؟ قلت ألف ، قال وتحت كل واحد من الألف عشرة كم هذا معك ؟ قلت عشرة آلاف ، قال فانما تخرج هذه العشرة فيدعو كل واحد منهم من تحت يده فيأمره باحضار عشرة ، ثم يخرج كل واحد منهم من المأمورين فيأمر من تحت يده فيجتمع ذلك كله في اقل من لحظة عين ، ولولا سحت هذه الارزاق يا مغربي واخذها لما صببنا هذه الاموال الا في الدجلة والفرات ، فأعجبني قوله ، وقلت يمكن ما قال ، فبينما أنا كذلك عنده اذ امره الخليفة باحضاري ، قال فلما مثلت بين يديه ، أمرني بالجلوس فجلست ، قال ، فذكر ما كنا عليه بما يرى مني اجتهادا في صلاة وغيرها ، فقال لي إني أحب ان اوليك من المشرق أي بلد اردتها ، فقلت الخيار لي في المشرق دون المغرب أو في المشرق والمغرب ؟ فقال لي ، الخيار إليك في المشرق والمغرب الا أنى اوثر لك المشرق لكثرة خيره ، وأرغب لك عن المغرب لكثرة شره ، فقلت له قد رددت الخيار إلي واذ رددت الخيار إلي فانا أختار ما شئت ، قال ذلك اليك ، فقلت اجمع بيني وبين عيني والدي ، فقال ما تريد بالمغرب من خير ولكن اذا أردت ذلك فالامر اليك ، ثم عطف علي فقال لي جرايتك في الحبس انظر الى من توصى بها لئلا يعفو اسمك من عندنا ، فقلت الى فلان بن فلان الخياط ، رجل بقرب الحبس . قال

وكنت اقبلت على النفوسي المرفوع معى وقلت له اقم لقبض كل يوم مائة وعشرين درهما فذلك خير لك من المغرب ، فأبى ، فقلت له فاذا ابيت فالى من ترى ان نصرف فقال الى فلان بن فلان الخياط فانى كنت اجلس عنده واستريح فيه واشاوره على أمرك ، فلما ذكرت اسم الخياط للخليفة قال لي بم استحق ذلك منك ؟ قال ، فأعلمته بما قال النفوسي ، قال فأمر به فأجريت عليه ، قال ، وكان النفوسي بعد ذلك بتاهرت اذا كربه امر او نزل به ضيق ، يقول لأبي اليقظان لم اقبل منك ، ولو قبلت لكان العشرون والمائة درهم أعود علي مما أنا فيه ، قال ثم امر الخليفة الوزير بالنظر في أمري وأمر جهازي ، وأمر لى بسرداق [78] فضرب لي ، ثم أمر لي بنفقة وكسوة ، وكتب لي كتبا الى عماله بالأمصار بالحفظ والرعاية والبر والإكرام ، فقمت حتى قضيت حوائجي ، ثم خرجت [79]. واما أفلح بن عبد الوهاب لما فقد ولده ابا اليقظان وعلم انه رفع الى بغداد اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهموما محزونا الى ان وافته منيته وابنه محبوس ببغداد ، واجتمعت الإباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح اذ فقدوا ابا اليقظان ارجح عندهم من ولده ابي بكر .

وفاة أفلح

(78) سرداق وفي مكان أخر يذكر سرادق والكلمة سرداق لا تذكرها المعاجم العربية . أما سرادق والجمع سرادقات فهو ما أحاط بالبناء . أنظر إبن منظور . لسان . م 2 . ص 130 .

(79) هذه الرواية اللطيفة عن سجن أبي اليقظان ببغداد وإكرام الخلفاء العباسيين له لا نجد لها في المصادر الإباضية إلا إشارة عابرة . وهي تؤكد حبس العباسيين لأبي اليقظان وإطلاق سراحه بعد أن أحسنوا إليه . أنظر أبو زكرياء : سير . ص 96 . الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 83 . وارجع إلى المقال الذي كتبه الأستاذ عبد الوهاب بن منصور : جريدة البصائر . عدد 178-179 وعنوانه : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق والمغرب . الجزائر . 1371 هـ/1952 . ص 6 .

ولاية ابي بكر بن افلح [80] ومقتل ابن عرفة [81]

اخبرني جماعة من الاباضية وغيرهم عن ولاية ابي بكر ومقتل ابن عرفة وقدوم ابي اليقظان من العراق ، قالوا : فلما مات افلح بن عبد الوهاب قدَّم الناس ابا بكر ابنه ، واخبرني غير واحد من الاباضية ، قال ، كان عبد العزيز بن الاوز [82] ينادي بأعلى صوته « الله سائلكم معاشر نفوسة اذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ولم تجعلوا الامر للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو اتقى وارضى » ، فلا يلتفتون الى كلامه ولا يشتغلون بمقالته . فلما ولي ابو بكر لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه ، ولكن كان سمحا جوادا لين العريكة يسامح اهل

---

(80) أبو بكر بن أفلح (258-261 هـ) رابع الأئمة الرستميين أهملته المصادر الإباضية
وتوقفت عن ذكر إمامته ، والسبب في ذلك فتنة إبن عرفة التي سوف يذكرها إبن الصغير
متصلة ، ولقد قيل إن الإمام أبا بكر هو الذي قتل إبن عرفة كما قيل بأنه لم يكن حازماً وليس
فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله . ولقد ترك الشماخي بياضا في كتابه لما وصل إلى
عهد أبي بكر . أنظر السير ، ص 220 . جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 66 .

(81) إبن عرفة محمد من المقدمين في بلاط الرستميين في عهد الإمامين أفلح وأبي بكر . صهر
إلى الإمام أبي بكر وصهره الإمام ، لذلك بلغ من النفوذ مبلغاً عظيماً في عهده .

(82) عبد العزيز بن الأوز من علماء الإباضية الذين لهم فقه بارع ورحلة نحو المشرق ،
ويبدو أنه صريح لا يعرف المجاملة ، وسوف يذكره إبن الصغير مرة ثانية ويروي عنه قصة تدل
على قوة ملاحظته . ويبدو أن سفاهة لسانه وخفة عقله ، كما يصفه بذلك إبن الصغير ، هما السبب
في إعراض الإباضية عنه وإهمال ذكره في طبقات وسير علمائهم .

المرؤات ويشـايعهم على مرؤاتهم ويحب الآداب والاشعـار واخبار الماضين[83] وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة وكان وسيا جميلا جوادا سمحا ، وكان قد وفد على ملك السودان[84] بهدية من قبل افلح بن عبد الوهاب فعجب ملك السودان ما رأه من هيبته وجماله وفروسيته اذا ركب الخيل فهز يديه وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبّر بالعربية لأن لا تخرج للامساك انما هو فيما بين القاف والكاف والجيم[85] الا ان معناها « أنت حسن الوجه حسن الهيبة والافعال » ، وكان لابن عرفة هذا ، أخت او بنت اجمل منه فخطب اليه ابو بكر بن افلح ودخل بها ، قالوا وكان محمد بن عرفة هذا قد تزوج بأخت ابي بكر ، قالوا فكانت الامارة بالاسم لابي بكر وبالحقيقة لمحمد بن عرفة ، وكان محمد بن عرفة اذا ركب من داره يريد ابا بكر مشى بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره أمم من الأمم ، وشبرقت[86] بذلك الرستمية وغارت به وشرق بذلك كل من

محمد بن عرفة وما كان من أمره

(83) لاحظ جيداً هذه الصفات التي يتحلى بها أبو بكر ، لتقارنها فيما بعد بسير أحداث فتنة إبن عرفة .

(84) لا نعرف بالتدقيق المملكة السودانية التي كانت تربطها بالدولة الرستمية علاقات تجارية متواصلة ، إلا أن المؤرخين يذكرون في القرن الثاني والثالث الهجريين عدة ممالك في السودان الغربي والأوسط وأهمها جميعاً مملكة غانة ومملكة كوكو . أنظر المسعودي : مروج الذهب ، ج 2 ، ص 223-222 ، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج 1 ، ص 194-193 . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 223-219 .

(85) لماذا اهتم إبن الصغير بمخرج هذه الكلمة السودانية التي ليست تعبّر بالعربية . فهل يفهم من هنا ان إبن الصغير يعلم اللغة السودانية أو أن هذه متداولة في تيهرت على الأقل بين العبيد ومملوكيهم من الأغنياء والتجار مع السودان . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 243 هامش 5 .

(86) شرق : الشجا والغصة ، إبن منظور : لسان ، م 2 ، ص 305 .

[...] بابي بكر ، الا ان الكلمة مجتمعة والدعوة واحدة والناس مقيمون على احوالهم ، الا أن الضغائن بين القبائل واهل الحواضر في الصدور على ما كانت في ايام ابيه ، وبين القبائل حروب تهيج ثم تسكن ، والبلد زائدة في العمارة ، الا ان هوارة قد جنبت ورجعت الى مواضعها من الوادي ، الا انه قد وقع بينها ما وقع بين الناس من العداوة حتى تميزت وتباينت وصارت بنو أوس مع من ولاهم ، وتزهقت مع رؤسائهم . فكان الناس على امامهم عليه الى ان قدم أبو اليقظان من العراق فوجد اخاه ابا بكر اميراً والعجم على احوالهم والنفوسة على مراتبهم وسائر الناس على ما هم عليه ، فلم يغير شيئا ولم ينكره ولا ادعى امارة ولا نازع فيها [...] ، بل يظهر القيام له والحسبة بين يديه ، وكان ابو بكر يحب اللذات ويميل الى الشهوات فصرف النظر في المدينة واحوازها الى أخيه أبي اليقظان مع ما اظهر له من الكفاية مع أدب المشرق والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم ، وكان ابو اليقظان يركب الى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه ، فمن تكلم اليه من الناس بين العمال والقضاة وصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا واجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره او صغر ، ولم تأخذه في الله لومة لائم ، فحمد له الشراة[87] ذلك وحمد له أخوه

عودة أبي اليقظان من المشرق وسيرته وعدله

(87) الشراة وهم علماء الإباضية الذين يقومون برقابة سير أحوال الإمام والإمامة بصفة عامة . ويتدخلون لإحقاق الحق وإثبات العدل كلما اقتضت الضرورة ذلك ، وهو نظام خاص بالدولة الرستمية . والكلمة مقتبسة من قوله تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » سورة البقرة آية 207 وأنظر آية أخرى في سورة التوبة آية رقم 111 . والجدير بالذكر أن

فعله . فاذا كان آخر النهار اتى باب اخيه ابي بكر فان وجده جالسا دخل عليه واعلمه بما حدث في يومه من خير وحكم . وان لقيه مشتغلا قال لمن علم انه يصل الى حرمته اقرأ على الامير السلام وقل له اصبحت مدينتك اليوم هادئة وامست هادئة ، واذا كان في الليل ركب وطاف في المدينة حتى اقصاها ويحكم في الامر الضروري ويأمرهم اذا حدث حادث ان يوافوا داره فاذا حكم جميع ذلك انصرف الى داره فاذا كان بالغداة غدا الى باب أخيه فان وجده جالسا اعلمه بما كان في المدينة من حدث ان كان حدث أو هدوء ان كان هدوء ، فلم يزل كذلك حتى جلب قلوب الناس واستراءت (88) اليه ومالت نحوه / وفي كل ذلك محمد بن عرفة في دوي وصيت عال لا ينظر ابا اليقظان في حزبه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ولا ينظر بهيبة له او إجلال او حذر منه ، وكان محمد بن عزفة اذا اتى باب ابي بكر لم يحجب (89) كان ابو بكر في مجلسه او في حرمته ، وكان ابو اليقظان وجميع اخوان ابي بكر واعمامه لا يدخلون على ابي بكر الا بالاستئذان اذا كان في مجلسه والا انصرفوا (90) ، وكان محمد بن عرفة على غير ذلك وكانوا لا

دالة محمد بن عرفة على ابي بكر

-من بين الأنواع الأربعة للإمامة عند الإباضية إمامة الشراء، أنظر إبن جميع : مقدمة التوحيد ، ص 69 وما بعدها ، عوض خليفات : النظم ، ص 112-113 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 79-80 .

(88) هكذا وردت في الأصل ولعل الصواب « واشرأبت » .

(89) وردت في الأصل « يحج » والصواب ما أثبتناه في المتن .

(90) في الحقيقة لا غرابة في هذا ، فابن عرفة إذا كان يدخل على أبي بكر في مجلسه أو في حرمته دون أن يحجب فلأنه أخ زوجة الإمام أبي بكر وبالتالي فهي من ذوات محارمه ، أما إذا كان-

يصلون الى السعي فيه لمكان اخته او بنته عنده ، وكان ابو بكر بها كلفا ولها محبا ، فلم يزالوا يترقبون الفلتات وينتظرون الغفلات الى ان جمعهم يوما الى نفسه لأمر اراد شوارهم فيه ، فلما ظفروا بالخلوة منه قالوا انك ذاهب ونحن ذاهبون ، قال وكيف ذلك ؟ قالوا له ما نحسب انك تعلم مجيء ابن عرفة اذا جاء فمن يجيء ولا انصرافه اذا انصرف فمن ينصرف ولا اجتماع الناس عند بابك اذا جاء ولا خلوه اذا انصرف ، قالوا المنفرد بهذا الكلام ابو اليقظان خاصة دون سائر اخوته واعمامه فالله اعلم أيّ ذلك كان (91) . فلما سمع ابو بكر شق صدره واراد أن يعلم ذلك ففتح طاقا في اعلى قصره يقابل الناحية التي يأتي منها محمد بن عرفة فلما كان بالغداة جلس في الطاق فبينما هو كذلك اذ تحرك محمد بن عرفة من قصره فبادر الناس اليه من كل جانب وذلك كله بعين ابي بكر واقبل وبين يديه أمم وخلفه أمم وعن يمينه أمم وعن شماله أمم ، حتى اتى الباب ، فنزل ابو بكر من طاقه الى مجلسه وقد هاله ما رأى ، ثم دخل محمد فخلا معه مليا ثم انصرف فصعد ابو بكر الى الطاق فاذا بالامم

تحريض أبي بكر على التخلص من ابن عرفة واثر ذلك

أبو اليقظان وغيره يحجبون عند ما يكون الإمام في حرمته فلأنه لا يجوز لهم شرعاً مقابلة زوجة أبي بكر أخت إبن عرفة ، فزوجة الأخ ليست من ذوات المحارم . من هنا فلا نفهم أن إبن عرفة محظي ومقدّم عند الإمام أبي بكر على حساب أخيه أبي اليقظان وأعمامه ، كما يريد إبن الصغير .

(91) يتهم إبن الصغير الإمام أبا اليقظان بتأليب أخيه على إبن عرفة . ولما كانت هذه التهمة خطيرة خاصة وأنه أدرك أبا اليقظان وحضرَ مجلسه وقال عنه بأنه كان زاهداً وورعاً ناسكاً سكيناً . لذلك نجد إبن الصغير يتحرج من هذه التهمة وكأنه يستبعدها عن أبي اليقظان في قوله « فالله أعلم أيُّ ذلك كان » . أنظر وداد القاضي : إبن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية . مجلة الأصالة ، عدد 45 ، ص 44 .

اقبلت قد انصرفت ، وبقي بابه خاليا ، فتحقق عنده
قال القائل ، ثم ارسل الى من ذكر له من امر محمد بن
رفة ما ذكره ، فقال له قد رأيت ما وصفت فما الرأي ؟
قال ان هممت به وأظهرت ذلك امتنع منك وغلب عليك
عليك ملكك لأن مطيعته أكثر من مطيعتك ،
الطف في أمره ، قال وكيف ألطف في امره ذلك ؟
وجه اللطف في ذلك ان تخرج كما تخرج ابدا متنزها معه
غيره وتظهر له انك تريد الخلوة معه والراحة ، وتأمره
لا يحضر معه احدا من عبيده ولا من خشمه وتفعل أنت
ذلك الا عبدا من عبيدك ممن تثق اليه في دينك
دنياك ويكون مع ذلك كافيا متحملا لما حملته ، فاذا
ت ذلك ووعدته على الخروج قد علمته ان خروجكما
الليل وانصرافكما فيه لئلا تخلط بكم العوام ، فاذا اتيت
نزهك فأقم فيه نهارك كما تقيم ، فاذا غابت الشمس وقمتما
صلاة المغرب أمرت غلامك فيه بما تريد ، فقال له ابو بكر
اكتم علي هذا ولا تظهره ودعني أدبر أمري وأتأمل في رأى
هل تطوع نفسي بذلك أم لا ، فاني لا أحسب نفسي تطوع
ي ذلك ولا سيا اخته تحتي واختي تحته ، (حتى أنا شككت
ي البنت او الاخت)[92] ومتى ما فعلت ذلك تنقصت حالي
كنت كقاطع كف بكف لما خرني[93] . فقال له الامر اليك

(92) هذه الجملة إعتراضية يخبر فيها إبن الصغير عدم يقينه من أن إبن عرفة تزوج أخت أبي
ر أو بنته . كما احتار هل تزوج أبو بكر بنت إبن عرفة أم أخته .
(93) لعل الصواب « لما ضرّني » بدلاً من خرّني .

وانما علينا النصيحة ، وقد علم ابو بكر بعد فوات الامر أن
الحسد والبغي أداهم الى ما أداهم لا النصيحة ، ثم لم يغالب
نفسه وهي تغالبه حتى عزم على غدره ومحمد بن عرفة في
ذلك كله اسلم الناس صدرا واكبرهم له حبا ، فأرسل له كما
يرسل قبل ذلك وقال له قد اردت الخروج بالغداة الى
جنان الامير واردت الخلوة فيه والقيام به الى آخر النهار مع
اصراف الحشم عني والعبيد واحب ان تأتي بالغلس مفردا
فنصطحب جميعا ، فقال ذلك الى الامير ، فلما كان قبيل
الصبح ركب محمد بن عرفة من غير أن يعلم أحدا من
حاشيته وعبيده حتى أتى بابه وعلم ابو بكر بمجيئه وخرج
وقد عهد الى غلامه في الليل ما عهد وأمره بما أمر فسارا
جميعا حتى اتيا موضع متنزههما وهو موضع يعرف بجنان
الامير فأقاما يومهما ذلك ، فلما كان وقت العشاء وسقطت
الشمس قال له تعال نصلي المغرب فننصرف ؟ فأسبغ كل
واحد منهما وضوءه واستقبل القبلة فلما احرم محمد بن عرفة
أشار ابو بكر إلى غلامه أن امض الى ما أمرتك فضربه
بحربة كانت بيده بين كتفيه فخر ساقطا ميتا ، فلما علم ذلك
أبو بكر قال لغلامه زمّله بثيابه واحمله على فرسه ، ففعل
الغلام ما أمر به وركب أبو بكر فرسه ومشى بين يدي
الغلام والغلام خلفه حتى أتى جبلا قد تقسم نصفين له هواء
عظيم يعرف ذلك الموضع بالشفة الحمراء ، فقال له ألقه في
المهواة فألقاه فيها وأمره أن يغيب فرسه ولا يظهره ،

وانصرفا حتى دخلا المدينة[94] . وأبطأ محمد بن عرفة عن زوجته واهله وداره فبعثوا رسولا يتجسس لهم الاخبار ويتعرف ان كان وصل ابو بكر الى داره ام لا ، فرجع الرسول فأخبرهم بوصول أبي بكر إلى داره ، ولم يصب لمحمد ابن عرفة خبرا ولا أثرا ، واتصل الخبر بجيرانه وإخوانه وأهل بطانته فباتوا متوحشين خائفين وجلين . فلما طلع الفجر وارتفع النهار ولم يصيبوا له خبرا ولا أثرا خرج الناس مقتفين أثره ومفتقدين خبره حتى أتوا الموضع الذي كان فيه مصرعه فما أصابوا[95] إلا دما قد بات الموضع فعلم أن الرجل أصيب ، فلم يزالوا يتبعون أثر الدم حتى وقفوا على أثر المهواة فأمروا بحبال فأوتي بها فربطوا بها من أدلوهم حتى نزلوا الموضع وأصابوا الرجل على حاله بثيابه فربطوه بتلك الأحبال ورفعوه إلى أعلى الموضع . ثم طلع القوم فأتوا النهر الذي قتلوه به وبعثوا إلى داره وأتوا منها بفرس له وكسوة طاهرة وسيفه فغسلوه في النهر ونظفوه وطيبوه ثم كسوه ثيابه وقلدوه سيفه وحملوه على فرسه وجعلوا خلفه رجلا يحبسه . حتى أتوا به مدينة تاهرت فابتدر إليه العامة والخاصة والنساء والصبيان ولحق الناس من الجزع ما لم

(94) إن أبا بكر بن أفلح بالصفات التي سبق وأن ذكرها إبن الصغير نفسه . بعيد من أن ينفذ مؤامرة خطيرة وخسيسة كهذه . لذلك فإن الراجح عندنا هو أن أبا بكر متهم بهذا القتل الذي نفذه غيره وحاول به أن يضرب وحدة الرستميين والإباضية ، ولقد حصل له ما أراد . وفي رأينا أن المناقشة والتحليل الذي قام به الشيخ علي يحي معمر لهذه الحادثة والمؤامرة والتهمة والنتائج التي انتهى إليها منطقية معقولة . أنظر علي يحي معمر : الإباضية بالجزائر ج 4 ، ص 45 وما بعدها . بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 131 وما بعدها .

(95) وردت في الأصل « فأصابوا إلاّ دماً » .

فتنة محمود بن الوليد

يلحقهم في قتيل قبله ، وقام مناد ينادي بين يديه الا إن القتيل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه ، فعجل الناس بجهازه ودفنه ثم جلسوا حلقا حلقا يذكرون أمرهم ، إلى أن بعث رجل يعرف بمحمود بن الوليد رجالا من خاصته يتعرّفون أحوال الناس وما لهم عليه فرجعت رسله إليه فقالت قد حمي الوطيس وإنّما ينتظرون محرّكا ، فصعد الى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة فضرب الطبل فبادر الناس اليه وامرهم باخذ السلاح والزحف الى ابي بكر وقربه[96] ، واتصل ذلك بابي بكر فابتدر اليه خاصته من السمحيين[97] والرستميين وغيرهم ، وزحف الناس من أعلى المدينة من ناحية المشرق ، وزحف قرب أبي بكر وشيعته وخاصته من المغرب ، ولبس كل واحد من الفريقين الدروع والبيض والرايات حتى اجتمع الناس جملة الاّ يسير بموضع بمسجد أبي[98] .... فلم تزل الأيدي تتطاير والرجل كذلك والهامة تقلع وأمر على الفريقين الصبر ، فلما رأت العجم ما

فتنة العجم وما

(96) قربه أي أقرباؤه فإبن الصغير يريد هنا قرب النسب لاقرب المكان على أكبر تقدير .

(97) وردت في الأصل « المسيحيين » وهو خطأ فادح ، والصحيح « السمحيين » مثلما قال بذلك الباروني في أزهاره . وهؤلاء هم أتباع السمح بن أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، وهم من الإباضية الوهبية الذين قبلوا إمامة عبد الوهاب ورفضوا قفز خلف بن السمح بن أبي الخطاب إلى ولاية نفوسة دون إذن من الإمام بتيهرت وهذا لما توفي عامل نفوسة من قبَل الإمام عبد الوهاب السمحُ ، أي والد خلف . وحاول خلف الاستقلال بجبل نفوسة عن الإمامة الرستمية فسمي الذين اتبعوه بالخلفيين والذين رفضوا رأيه ولم يقفوا الى جانبه بالسمحيين . أنظر التفاصيل في : الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 148 وما بعدها وصفحة 231 علماً بأن الباروني اعتمد على مخطوط لكتاب إبن الصغير لديه . عوض خليفات : النظم ، ص 103 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 126وما بعدها ، و ص 135 .

(98) بياض في الأصل .

زل بين الفريقين من السباب والقتل قالوا قد امكننا في لعرب والجند ومواليهم وأتباعهم ما نريد ، فقوموا بنا مع شتغالهم بأنفسهم حتى نثبت على طرف المدينة فنقتل قاتلتهم ونخرب ديارهم ونميل على سائرهم فنهلكهم فيصفو نا البلد والسلطان . وقد وقع بينهم وبين سلطان البلد من لفتق ما لا يرتق أبداً له[99] ، ففعلوا ذلك وكانت الناحية لتي همّوا بها قد أخذت على أنفسها وخافت مما قدره العجم عليها ، فلما وافاهم العجم من الناحية المعروفة بموقف لدواب بدر إليهم القوم فكان بينهم وبينه قتال شديد أصحابهم مشتغلون بأنفسهم كذلك الى ان سقط رجل من لعجم فاحتزّوا رأسه ، وسير به الى الفريقين وهما يقتتلان ناداهم وبيده الرأس : يا معشر الجند والعرب تقتلون انفسكم العجم قد دخل عليكم ساحتكم يقتلون مقاتلكم ويستبيحون حريمكم ، ثم ألقى الرأس فيما بينهم ، فلما نظروا الى الرأس ، قوا السلاح من أيديهم وتعانقوا وقاموا بأجمعهم نحو العجم قتلوا منهم خلقا كثيراً وقبضوا منهم نفراً يسيراً ، واعتزل ابو يقظان الفريقين وصار الى وعدة[100] نفوسة ، والجند العرب ترى انها ليس لها غير ما ظهر وانه يعين عليها في باطن وبقى أبو بكر في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشاءم ناس به ، وبقيت نفوسة معتزلة عن الفريقين واختلفت

الخبر على ذلك من قتال واضطراب

(99) هذه كلمة زائدة .

(100) لعل الصواب عَدْوة بدل وعدة ، وقد ذكر إبن الصغير عدوة نفوسة قبل هذا الموضع سوف يعيد ذلك في الصفحة التالية ، والعدوة المكان المتباعد .... إبن منظور : لسان ، م 2 ، ص 714 .

الحرب بين العجم والعرب وكان قد قبض العرب مولى من موالي الأغلب[101] يقال له خلف الخادم وكانت له أموال عظيمة فأعان القوم بنفسه وماله[102] ، ثم لم تزل الحرب قائمة الى ذات يوم وقعت حربة في جوار درب النفوسيين وكانت العرب والجند اذا غلبت على العجم أخرجتها من بعض ديارها في حالها فقال لهم خلف الخادم : وما تصنعون شيئا ، اذا غلبتم على شيء من ديارهم فأضرموه نارا ، فلما كان اليوم الثاني وقع الحرب فيه بجوار درب النفوسيين وغلبت العرب والجند على ذلك الموضع وأزالت العجم عنها[103] واستولت على الدرب وكان أكثره للعجم وبعضه لنفوسه وأضرمت الدرب نارا ، فغضبت نفوسة عند ذلك وقالت وقفنا عند حربهم وأحرقوا ديارنا واستباحوا حريمنا . فعند ذلك حميت نفوسة وصارت كلمتها وكلمة العجم واحدة ، وجبذوا[104] الى انفسهم ابا اليقظان فلما اجتمع امر العجم ونفوسة والرستمية وأبي اليقظان وصار الأمر اليه اشتد الحرب على العرب والجند وضيقت عليهم العجم ونفوسة وأبو اليقظان حتى ضموهم الى اطراف مدينتهم

(101) أي الأغالبة حكام إفريقية أو الدولة الأغلبية ومؤسسها هو ابراهيم بن الأغلب الذي استقل بولاية إفريقية (تونس حاليا تقريباً) عن الخلافة العباسية سنة 184 هـ/800 م وأقره الخليفة هارون الرشيد على ذلك .

(102) ألا يمكن أن نفهم من هنا أن للأغالبة يداً في هذه الفتنة التي عصفت بالدولة الرستمية ؟

(103) الأصح « عنه » أي عن الموضع .

(104) جبذ جبذاً في العربية مثل جذب جذباً كلاهما صحيح ولهما نفس المعنى : إبن منظور : لسان ، ج 1 ، ص 394 .

واستولوا على أكثرها ، ثم كانت بينهم وقائع كلها للعجم ونفوسة على العرب ، منها وقعة تعرف بقنطرة الدمتس ومنها وقعة تعرف بقنطرة سليس ، وفزع في هاتين الوقعتين وجوه العرب وصناديدهم ، ثم كانت وقعة تعرف بيوم الرد المعوج ، فيما ذكر ، ان نفوسة فروا بعضها على بعض وقال بعضهم كيف يجوز لنا الفرار من الزحف قالوا فما وجه الرأي قالوا الرأي ان نضم لرجل[105] بعضنا الى بعض بحبال ونثبت للحرب فكلما دارت الى ناحية درنا معها بوجوهنا ولا نبرح من أمكنتنا حتى يقطع السيوف في هاماتنا فكان في ذلك اليوم قتال لم يتقدم قبله قتال مثله ، فكلما دارت الحرب على ذلك الرد دار اليها ودار معها حتى افترق القتال وهو على حاله ، ثم لم تزل الحرب قائمة وأمور العرب والجند تزيد وتقوى وأمور العجم ونفوسة تنقص وتضعف حتى أجلوهم[106] على الامصار واضرموها بالنار ، وصار للعجم ونفوسة والرستميين موضع واحد في العدوة المعروفة بعدوة نفوسة فبنوا حصنهم فيه وشيدوه ، وتبع من العرب والجند توابع من التجار منهم ابو محمد الصيرفي وابن الواسطي وغيرهما من وجوه التجار وهم ذوو أموال ، فقالوا للعرب والجند لو بنيتم حصنا تأمنون فيه ليلكم وتتحصنون فيه إن دهمكم شيء من عدوكم ، وهذه أموالنا في ايديكم ، فشرعوا في بناء الحصن ، ولم يكن بين حصنهم وحصن عدوهم

(105) هكذا وردت ، ولعل الصواب : «أرجل»

(106) الصواب أن يقال « عن الأمصار » .

الا قدر رمية رام بسهم ، إلا أن بينهما نهرا يعرف بالنهر الصغير ، قالوا وربما كان البناؤون يبنون والنبل تصيبهم فيحفلون لهم ستارة حتى استدار حصنهم وركّبوا له أبوابه وعَلّته أبرجته والحرب لا تفتر ليلا ولا نهارا ، وحميت فيما بينهم حمية الجاهلية وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء .

أخبرني بعض المشائخ قال : صفت نفوسة والعجم ومن لف لفهم بين يدي حصنهم وعلى حصنهم ، فبرز رجل من العجم يقال له ابن وردة[107] وبيده سيف ودرقة ، وكان كل من مر إلا وقتله ، فنادى هل من مبارز[108] ؟ فهابه الناس الى ان قال ، وان العجم والنفوسة والرستميين ، لما نزل بهم ما نزل تفرقوا في أقاصي البلاد ، فنزلت العجم بموضع يقال له تنابغيلت[109] وهي على مرحلتين من مدينة تاهرت ، وأما الرستمية ومن لف لفها فلحقوا بابي اليقظان بالموضع الذي يقال له اسكدال[110] وهو بقبلة تاهرت على مسيرة اليوم وازيد قليلا في مجتع الاباضية ، واما نفوسة فنزلت بقلعة مانعة يقال لها اليوم قلعة نفوسة . فنزل محمد بن مسالة[111] تاهرت ، وخرج أبو بكر مع من خرج لا

(107) سبق وأن ذكر إبن الصغير رجلاً بهذا الاسم من العجم ، بل هو مقدم العجم ، فكان له سوق يعرف به لا يجسر صاحب شرطة أفلح على دخوله هيبة .

(108) وردت في الأصل : هل مٌن بارز والصحيح : هل مَن مبارز ؟

(109) لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي يبعد عن تاهرت بمرحلتين .

(110) إسكدال لا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع الذي به مجتمع الإباضية .

(111) محمد بن مسالة من المنشقين عن الإمامة بتاهرت ، وقد ذكر إبن الصغير في الصفحات السابقة ، لما تطرق إلى الإفتراق الثاني في عهد عبد الوهاب ، وسبب الإنشقاق هو أن الإمام عبد الوهاب تزوج فتاة كان إبن مسالة قد خطبها من أهلها قبل الإمام ، فغضب إبن مسالة لذلك-

خروج ابي بكر وانهزامه

حيًّا ولا ميتا ، فلم تزل أمور النـاس هـادئـة حتى وقع شيء بين هوارة ولواتـة وكانت لواتـة إذ ذاك بـالمدينـة مع أهـل المدينة فتسلطت عليها هـوارة بسلطـانهم وأعـانتهـا أهـل المدينة ، فلمّا رأت لواتـة ذلـك ظعنت عن المـدينـة وخلت عنها ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتـة ، وأرسلت إلى أبي اليقظان فانزلته في جوار منها على مسيرة أميال بموضع يقـال لـه تسلـونت[112] ، ومن تسلـونت مخرج عيـون نهر مينـة الجاري من قبلة تاهرت الـذي نصبوا عليـه أرحـائهم ، وكان

إمـامـة أبي اليقظان

أبو اليقظـان معـه بعض الامـوال التي قـدم بهـا من بغـداد ، والمدينـة بهـا رجـال هـواهم وقلـوبهم عنـد ابي اليقظـان ، فخرجت اليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظـان ، واتته الإباضيـة من كل الاقطـار وبقي بـالمدينـة أمم ممن لا يوالون أبا اليقظان ولا يرون رأيه ويوالون محمد بن مسـالـة على عميـات لا علم لنـــا بهـــا ، فتجردت الحرب وعـــادت جذعة[113] ، وحمل ابو اليقظـان النـاس على الخيل ودعي لـه بالإمارة والامامة وألغي ذكر أبي بكر ومحمد بن مسالة ، وأبو اليقظان يغزو المدينة وتجرد إليه اهل المدينـة فتكون وقـائع وقتل له ثم ينصرف فلم تزل حروب كذلـك وعلى ذلـك سبع

•وغضبت عشيرتـه فـارتحل نحو المغرب حتى نزل بوادي هوارة وبينـه وبين تـاهرت نحو من عشرة أميال أو أكثر . ولما كانت هذه الفتنة ، استغلها محمد بن مسـالـة فرجع إلى تـاهرت ونزلهـا . وانظر كذلك اليعقوبي : البلدان ، ص 106 وما بعدها .

(112) هكذا وردت في الأصل ، ولكنها في نسخة الشيخ أبي اليقظان « تـاملونت » ولا نـدري معتمده ، ولا تذكر المصادر الجغرافية هذا الموضع .

(113) وردت في الأصل جزعة بالزاي . واصلها جذعة ، يقال جذع أي قطع .

سنين حتى خلت وذهبت الامـوال وعـــادت كما قـــال أمرؤ القيس[114] شمطـاء[115] وان ابـا اليقظـان لما رأى من طول الحرب ما رأى كتب الى جبل نفوسة يستفزهم ...[116] .

...[117] جددوا له البيعة وعقدوها لـه ، وانهم لما نزلت بأبي اليقظان اجتمع الى أبي اليقظـان جمع عظيم فرحل بجميع جموعه من نفوسة وغيرها ، حتى نزل من المغرب من مـدينـة تاهرت فلما نزل منزله . قـالت نفوسـة لا نقـاتل حتى نرسل الى إخواننا وننذرهم فـان جـاءوا ورجعوا الى الطـاعـة كانت أيدينا وأيديهم واحدة وان أبوا من ذلك نزلنـا معهم على حكم الله ، قال افعلوا ، ففعلوا فـأرسلوا رسلهم وخوفوا النـاس من شر العواقب ووجدوهم قـد ملوا الحرب فقـالـوا لرسلهم قـد تقـدمت فيما بيننـا دمـاء وأمـوال لا منـا ولا منهم ونخشى أن يأخـذ البـاقي من الغـائر فـان كان عقـدوا صلحـا على ان لا يتبع احد بدم ولا مال فسمعا وطاعـة ، فـأعلمت نفوسـة ابـا اليقظان بما قالت رسلهم ، فقال معاذ الله ان نأخذ أحدا بمـا

(114) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكنـدي من بني آكل المرار . أشهر شعراء العرب في الجاهليـة وهو من أصحاب المعلّقات . توفي حوالي سنـة 80 قبل هجرة الرسول (ص) . الزركلي الأعلام ، ج 1 ، ص 351 .

(115) وردت في الأصل « شمطا » ويشير إبن الصغير هنا إلى هذه الأبيات لامرىء القيس :

الحرب أول ما تكون فتيّة ... تسعى بزينتها لكل جهول

حتى اذا استعرت وشبّ ضرامها ... عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت ... مكروهـــة للشمّ والتقبيـــل

أنظر ديوان أمرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ص 353 .

(116) هكذا وردت في الأصل ، ولا نـدري أهـو اجتراء من مـوتيـلانسكي أم هـو في المخطوط الذي نقل عنه . وربما الصحيح يستنفرهم .

(117) بياض في الأصل .

سلف ولا آخذ إلا بما يستقبل فأعطوهم على هذا ما احب من العهود والمواثيق ، قال ثم خرجت طائفة من عسكر ابي اليقظان حتى اجتمعت بطائفة من اهل المدينة فعقدوا ذلك فيما بينهم ، فقالت نفوسة نحن انما جئنا لإصلاح بيضتنا وتأليف أمرنا وقوام ديننا ولم نأت لطلب علوٍّ في الأرض ولا فساد ، فرحل ابو اليقظان بعساكره حتى أتى الظاهر المشرف على المدينة المعروف بقلعة نفوسة فضرب بها سرداقه الذي قدم به من بغداد ، قالوا ولم ير سرداق مضروب قبله وانما كانت مضارب وقباب ، ثم ان اهل المدينة عمدوا الى داره التي هدموها وكانت مزبلة من المزابل وكدية من الكدي فكنسوها في يومهم ذلك فابتنوها في أسرع الأيام فلما فرغت نزلها ابو اليقظان ورفع مضاربه ونزل الناس المدينة .

دخول ابي اليقظان [118] تاهرت وسيرته

قال لي جماعة ممن شافهني من الاباضية وكلمني ، لما دخل ابو اليقظان المدينة ونزلها كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس ان استصلح لهم قاضيا ، بعد ان شاور جماعة منهم ، فأشاروا به وكان اسم القاضي ابا عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي الشيخ ، ثم ولي على بيت ماله رجلا من نفوسة . ثم قدم على منبره من ارتضاه هو بنفسه ، ثم أمر قوما من نفوسة يمشون في الاسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، قالوا . فان رأوا قصابا ينفخ في شاة عاقبوه ، وإن رأوا دابّة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبه بالتخفيف عنها ، وإن رأوا قذرا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه . ولا يمنعون أحدا من الصلاة في مساجدهم . ولا يكشفونه عن حاله ولو رأوه رافعا يديه ما خلا المسجد الجامع إن رأوا فيه من رفع يديه منعوه وزجروه فان عاد ضربوه ، وكانت خطبهم على منابرهم

(118) أبو اليقظان محمد بن أفلح : (261-281 هـ) هو الإمام الرستمي الخامس . انظر ترجمته في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 98 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ص 84-[illegible] ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 132 وما بعدها ، جودت عبد الكريم : العلاقات . ص 66 وما بعدها هامش رقم 1 .

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[119] ، ما خلا خطبة التحكيم[120] . فلم يزل قاضيهم محمد بن عبد الله يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقظان وينهى الى نهيه لا تـأخـذه في الله لومة لائم ، الى ان حدث حدث فأصبح بـالغداة إلى أبي اليقظان فرمى اليه خاتمه وقمطره فقال ول على قضائك من تريد ؟ فقال له مالك[121] وما اعتراك ؟ فقال له ما نقمت عليك شيئـا ولكن نقمت على بنيـك ، فقـال مـا بـال بني ؟ قـال خليتهم عـالـة على النـاس ، فغضب أبو اليقظـان ممـا استقبلـه بـه ولم يرد عليـه شيئـا . وكان للقـاضي حـاسـدون ومبغضون ، فلما انصرف من عند الإمـام قـال لمن حولـه اذا كان بالغـداة أمضوا الى محمـد واسئلوه مـا نقم علي ، وعلى من نقم لنزجره لما كان منـه . فقـدموا اليـه فـأعلموه ، فقـال لهم دعوني من هذا والله لا وليت لـه قضـاء ابـداً فـانصرفوا عنـه وقد وافق ذلك سرورهم لحسدهم إياه وبغيهم عليه ، وأتوا أبـا اليقظان فقالوا ، أصلح الله الامير ، الرجل به حمق ولـك في المسلمين من هو انفع للمسلمين منه ، فلم يزالوا به حتي صرفوه وولوا القضاء رجلا يقال له شعيب بن مدمان ، فقلت يومـا لسليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي مـا السبب الـذي كره

القاضي محمد بن عبـــد الله، ومــاكان من أمره

(119) هذا يتناقض تماماً مع ما ذهب إليه إبن الصغير في ص [illegible] حيث ذهب إلى أن الإباضية أو الرستميين يتبرأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) ، إذ لو كان الأمر كذلك لما خطبوا بخطبه على المنبر أيام الجمع . ولعل البراءة من الإمام علي (ض) عند الإباضية قديماً يقتصر على البعض دون البعض الآخر أنظر ص 81 هامش 126

(120) سيذكر إبن الصغير في آخر الكتاب خطبة التحكيم . وسميت كذلك لأنها تحتوي عى عبارة « لا حكم إلا لله » .

(121) وردت في الأصل « ما بالك » .

منه محمد بن عبد الله القضاء حتى ألقى الخاتم والقمطر وشافه ابا اليقظان بما شافه بـه ؟ فقـال نعم ، آجرك الله يـا ابني ، انما نحن ذات ليلة جلوس بعد العشاء الاخيرة وكان كثيرا مـا يؤثر بي لحوائجه على غيري ، فبينما نحن كذلك اذ دق علينا البـاب دقا عنيفـا ، فقـال لي يـا سليمـان قم فـإني خشيت أن يكون حادث من قبل السلطان ، قـال ففتحت البـاب فـإذا أنا بجارية منبهرة ومعها صقلبي معـه سراج ، قـال فقلت مـا بـالـك ايتها المرأة ؟ فقـالت القـاضي أريـم ، فرجعت إليـه وأعلمته ، فقال أدخلها ، فأدخلتها ، فلما مثلت بين يـديـه ، قال لها ما بالك أيتها المرأة ومـا جـاء بـك هـذه السـاعـة ؟ فقالت نعم دخلت علي السـاعـة خـدام من قبل زكريـاء إبن الأمير وأخذوا إبنتي من بين يدي ، فقلت لإبني قم فـاتبعهم ، فقـال أخـاف إن أردت ذلـك أن يقتلـوني وإن لم يقتلـوني خفت ان يدسوا علي عـاملا من عمـالهم أو لصـا من لصوصهم فيقتلوني ، قال فسقط القاضي كالمغشي عليه ، ثم أفاق ، فقال لي يا سليمان قم ؟ ثم قام ، فقال لي خـذ سراجـك ولا يشعر بـك أحـد وتقلـد سيفـا واعطني عصـاي ، ففعلت ، ثم قـال أخرجي ايتها المرأة فخرجنا ، ثم قال إلى أين تظنين يقصد بـابنتـك ؟ فقـالت الى دار الزكاة ، قـال فـسـار وسرت معـه والجارية معنا حتى أتينـا قرب الـدار ، فقـال لي يـا سليمـان غيب السراج لئلا يشعر بنا أحـد ، قـال فسترتـه ، فقـال لي دق البـاب دقا لطيفا ، فاذا فتح الباب فأظهر السراج ، فلمـا رأى صـاحب الـدار وأهـل الـدار القـاضي إرتـاعـوا ارتيـاعـا

شديدا ، وقالوا فما بال القاضي ، أعزه الله ، وما جاء به ؟ فقال لي يا سليمان اصعد الى اعلى الدار واحذر ان ينزل احد من جوانب الدار ، ففعلت ، قال ثم اقبل يتخلل بيوت الدار بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا ، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا ، قال ، ثم عطف على صاحب الدار . فقال له ، هل رأيت زكرياء إبن الأمير او كان معك اليوم ؟ فقال نعم ، كان اليوم عندى فلما كان الليل أتى بفرس فركبه ، قال هل تعرف له موضعا ؟ قال لا والله أصلح الله القاضي ، فسقط في يده ثم لم يصبر[122] الا ان وصّلها الى دارها ، ثم انصرفنا الى دارنا ، فما نام تلك الليلة حتى طلع الفجر ، فغدا بخاتمه وقمطره وألقاه الى صاحبه ، وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة ونحوها[123] وكان عمره في إمارته نحو من أربعين عاما[124] ، وقد لحقت أنا بعض أيامه وامارته وحضرت مجلسه ، وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي ، ورأيته يوما ثانيا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من ادم فجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس ، وكان

---

(122) وردت في الأصل « يصب »

(123) يذكر أبو زكرياء والدرجيني أن أبا اليقظان عاش حتى كبرت سنه ورق عظمه : أنظر : سير ، ص 98 ، طبقات ، ج 1 ، ص 84 .

(124) تتفق المصادر الإباضية مع إبن الصغير على أن الإمام أبا اليقظان مكث في إمارته أربعين عاما . ويبدو أن التاريخ الذي وضعه جودت عبد الكريم لإمامة أبي اليقظان صحيح وهو (241 هـ - 281 هـ) وانظر رأيا آخر في بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ص 132 وما بعدها . أبو زكرياء : سير ، ص 98 الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 83 . جودت : العلاقات الخارجية . ص 66 هامش 1 وما بعدها .

مربع القامة أبيض الرأس واللحية . وكان اذا جلس الناس وامرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه الا ان تكون ظلامة ترفع اليه ، وكان زاهدا ورعا ناسكا سكينا وكان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلا الباب البحري ، وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها ، وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من الورع بمكان ، ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له إبن الصغير ، شأنه في الفقه ولم يكن في ورع عيسى ، وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس ، وكان اخص الناس به رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر[125] ، وكان غاليا فيهم تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[126] ، وكان مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويرد على الفرق في مقالاتهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفهم[127] ، وكان رجل يقال له عبد الله بن اللطي ، أخبرني أحمد بن

---

(125) لا تذكر كتب السير والطبقات الإباضية هؤلاء الفقهاء : عيسى بن فرناس وابن الصغير ومحمود بن بكر ، اللهم إلا ما ذكره الشماخي نقلا عن ابن الصغير ، أنظر سيره ص 222 .

(126) ذكر إبن الصغير في بداية كتابه أن الإباضية يتبرّأون من الإمام علي بن أبي طالب (ض) دون استثناء ، وهنا يبدو إبن الصغير لا يتهم الإباضية كلها بالبراءة من علي (ض) وإلا فلماذا ذكر محمود بن بكر وَحْدَه وقال عنه بأنه تذكر عنه البراءة من أمير المؤمنين علي . ونَسَبَهُ إلى الغلوّ فقال « وكان غالياً فيهم » وهذا يعني أن الإباضية الآخرين ليسوا من الغلاة .

(127) لم تصل إلينا هذه الكتب التي رد بها محمود بن بكر على مخالفي الإباضية ، ولعلّها ذهبت ضحية حرق مكتبة الرستميين في المعصومة من قبل أبي عبد الله الشيعي داعية العبيديين لما دخل تيهرت غازيا سنة 296 هـ . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 310 وما بعدها ، 312-316 .

بشير[128] عنه . قال لي اجتمعت المعتزلة[129] والاباضية بنهر مينة لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة[130] وكان كثير من هوارة ممن حضر[131] يتسمى بعبد الله بكسر الدال وكذا إسم الرجل ولما اجتمع القوم وضمهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله بكسر الدال ، فاجابه رجل من القوم ، فقال لست أريدك . ثم نادى ثانيا فأجابه رجل ثان فقال لست أريدك ، قال عبد الله وقد علمت أنه اياى يريد فكرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله ، فقال عبد الله بن اللمطي أريد ، فقلت لبيك فقال لي هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه ، فقلت لا ، فقال هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه فقلت إذا شئت . فقال خرجت منها يا ابن اللمطي ، وكان

(128) لعله إبن لأحد المقربين من الإمام أبي اليقظان الذي يدعى بشيراً أنظر الصفحة التالية 37 ومن هنا تأتي أهمية أخبار إبن الصغير .

(129) المعتزلة مذهب من المذاهب الدينية والفلسفية في الإسلام ، وقيل ان سبب تسمية المعتزلة بهذا الإسم ، إنما كان لكلمة أطلقها الحسن البصري على تلميذه واصل بن عطاء لما قال بالمنزلة بين المنزلتين ، إذ رد عليه الحسن البصري قائلا « إعتزلنا واصل » وتتلخص معتقدات المعتزلة في (أ) المنزلة بين المنزلتين ، (ب) نفي الصفات (جـ) القدرة (د) خلق القرءان . وغيرها كثير . ويذكر البكري أن مجمع الواصلية (وهم المعتزلة من أتباع واصل بن عطاء) كان قريبا من تيهرت . وكان عددهم نحو ثلاثين الفا في بيوت كبيوت الأعراب . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 60 . عبد الستار عز الدين الراوي : ثورة العقل (فكر معتزلة بغداد) ، ص 49 وما بعدها . البكري : المغرب ، ص 67 .

(130) أنظر رواية المناظرات التي جرت بين الإباضية والمعتزلة في أبي زكرياء : سير ، ص 67 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 57 ، الشماخي : سير ، ص 222،154 . وراجع بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، فصل المناظرات وعلم الكلام ص 357 وما بعدها .

(131) وردت في الأصل « حض » وهي تصحيف

منهم رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج[132] كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع . اذا اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه . وقد رأيت أنا هذا الرجل وجلست اليه فما رأيت في سود الرؤوس رجلا أخشع منه . وكان قليل الدخول على أبي اليقظان ولم يكن يجمعه واياه سوى المسجد الجامع ، فحدثني أحمد بن بشير قال ضرب ابو اليقظان سرادقه لحدث أراده وبرز بنفسه الى سرادقه ، قال وعلم الناس بخروجه فخرج اليه الفقهاء والقراء وضربوا ابنيتهم حول سرادقه خلا ابا عبيدة . قال فبينما الناس ذات يوم جلوس اذ اقبل ابو عبيدة راكبا على دابة . فقال الناس هذا ابو عبيدة قد اقبل متفقدا الامير مسلما عليه ، قال فاعلموا بقدومه ابا اليقظان فلما دخل عليه ادناه الى نفسه فقال ما جاء بأبي عبيدة الينا متفقدا ام مسلّماً ام ماذا ؟ فقال . أصلح الله الامير ، ماجئت مسلما ولا متفقدا غير ان جارة لي خرج ولدها البارحة في طلب معاش له ولها ، فأخذه المحروق صاحب حرسك وحبسه فأتتني الغداة باكية شاكية تسألني أن أسألك في إطلاق ولدها . فأمر بان يطلق كل من حبس تلك الليلة إجلالا لأبي عبيدة . ثم سلم وانصرف ، فعجب الناس من صدقه وتركه التصنع وإظهاره

(132) أبو عبيدة الأعرج من علماء الإباضية بتيهرت إلا أن كتب السير والطبقات الإباضية لا تذكر عنه شيئاً . وكثيراً ما أهملت تلك الكتب تراجم علمائها في تيهرت ولعل ذلك راجع إلى اندثار وفقدان مثل تلك التراجم بسبب الفتن والحرق الذي ألحق بعاصمة الرستميين . ونشير إلى أن الشماخي قد ذكر أبا عبيدة الأعرج وبعض العلماء الآخرين نقلا عن ابن الصغير ، سير الشماخي ، ص 223 .

على لسانه ما اسر في قلبه ، وكان أبو عبيدة هذا عالما بالفقهة والكلام والوثائق والنحو واللغة . وكان مع ديانته حسن الادب والمروءة ، وقد اتيته يوما أسمع منه كتاب إصلاح الغلط الذي ألفه عبد الله بن مسلم بن قتيبة[133] على أبي عبيدة[134] ، فلما افتتحت قراءته وقلت « لعل ناظرا في كتابنا هذا ينفر من عنوانه ويستفر من ترجمته ويربا بأبي عبيدة عن الزلة » فلم أهمزه ولم أمده ، فقال لي يربأ بأبي عبيدة بهمزة الالف وضمه وانما ذكرت هذا الحرف لأدل على براعته في اللغة ، فلما قرأت من الكتاب مثل ورقة أو أزيد ، أتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها . فأخذ نعله وعصاه ثم قام مع القوم . فلما كان اليوم الثاني اتيته فلما قرأت مثل ما قرأت بالامس اتاه قوم فقالوا يا ابا عبيدة شهادة يأجرك الله عليها ، ففعل مثل ما فعل بالأمس ، فقمت معه وقلت له ، أصلحك الله ، ان لي في الرهادنة دكانا أبيع فيه وأشتري وأتركه وآتي اليك فيأتيك الناس فتشتغل عنى لا أنا في دكاني ولا أنا في مقابلة كتابي ، فسكت . فلما كان بالغداة أتيته فلما قرأت بعض جزءى[135] ، أتاه أناس فسألوه كما سألوه قبل هذا ، فقال إن

---

(133) إبن قتيبة وهو أبو محمد عبد الله بن مسلم الكوفي ، بها مولده ويقال له الدينوري لأنه كان قاضي الدينور ، وتوفي إبن قتيبة سنة 270 هـ . له كتاب إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث . أنظر النديم : الفهرست ، ص 58-59 ، 85-86 . 96 .

(134) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى التيمي من تيم قريش لا تيم الرباب له كتاب غريب الحديث ، توفي أبو عبيدة سنة 210 هـ وقيل 211 هـ . أنظر النديم : الفهرست ، ص 59، 85-86-96 .

(135) لعل الصواب : بعض جزئه .

هذا اليوم لهذا الفتى فان أثركم على نفسه واذن لي سرت معكم ، فلما رأيت ذلك ، قلت له يا سيدي لا كُلُّ هَذا فسر اذا شئت أو أقم ، وإنما ذكرت هذا لأدل على مروئته وحسن أدبه ، وكان المغرب كله مفتونا بهذا الرجل حتى ان من كان من الاباضية بسجلماسة[136] يبعثون اليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء ، وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان حتى أنهم أقامته[137] في دينها وتحليلها وتحريمها مثل ما أقامت النصارى عيسى ابن مريم[138] ، وكان أكثرهم لا يحج الا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الاذن منه ، وكان اذا ضرب سرداقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى الى الفجر فاذا صلوا الفجر معه خرجوا بانفسهم الى الأرض فناموا[139] . وان ابا اليقظان لما استقام له ملكه أتته وفود نفوسة من الجبل المعروف بجبل نفوسة ليقدم عليهم أميرا من انفسهم فانزلهم في دار الضيافة ، فقال اكتبوا الي

أبو اليقظان يُعيّن واليا على نفوسة وقصة عبدالعزيز بن الأوز

---

(136) سجلماسة : هي عاصمة دولة بني مدرار الصفرية بُنِيَت سنة أربعين ومائة . أنظر البكري : المغرب ، ص 148 وما بعدها . الحموى ياقوت : معجم البلدان ج 3 ، ص 192 .

(137) الصحيح أن يقال « حتى أنها أقامته » أي قبيلة نفوسة .

(138) لا نعرف بالضبط وجه الشبه بين الإمام أبي اليقظان ورعيته من أهل جبل نفوسة من جهة وبين النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأتباعه من النصارى من جهة ثانية فهذا التشبيه غامض نوعاً ما ولعل إبن الصغير يريد أن يعبر عن مدى طاعة نفوسة لإمامها أبي اليقظان لا غير .

(139) يذكر كل من أبي زكرياء والدرجيني والشماخي أن أهل جبل نفوسة يتخذون مجلس أو باب دار أبي اليقظان كالمسجد يسهرون حوله ، طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرءان ، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم ، أنظر سير ، ص 98 ، طبقات ، ج 1 ، ص 82 . سير الشماخي ، ص 222 .

أسماءكم كلكم وارفعوها الي وأمر الكاتب ان يكتب السجل ويبقي بياضا لموضع المقدم فلما رفع المقدم اسماءهم اليه كتب بخط يده اسم المقدم وطواه وطبعه ولم يعلم احد من الناس من قدم ، ثم جمع القوم وقال لهم هاكم السجل ولا تفتحوه الا بجبل نفوسة اذا بلغتم منازلكم ، فاخذ القوم السجل وقد اغتموا اذ لم يعلموا من المقدم عليهم ، ثم دخلوا على حمود[140] بن بكر وكان من الخاصة بأبي اليقظان فسألوه فقال لهم ما انا بأعلم منكم بما فيه ، ثم دخلوا على عيسى بن فرناس فاجابهم بمثل ما أجابهم حمود ، ثم لم يزالوا يدخلون على واحد بعد واحد من الاباضية فيسألونهم فيخبرونهم بان لا علم لهم . فلم يزالوا كذلك الى ان مروا بعبد العزيز بن الاوز ، وكان له فقه بارع وله رحلةٌ نحو المشرق . ولكنه سفيه اللسان خفيف العقل يتزهون مجالسهم عن حضوره ويستغنون عنه في معضلات مسائلهم ، فما شعر أن دخلوا عليه فقال ما بالكم وما جاء بكم ؟ فقالوا فرحنا بشيء واغتممنا منه ، قال وما ذلك ؟ قالوا فرحنا بتقديم الامام لنا واغتممنا اذ لم نعلم من قدم علينا ، قال أو لم تعلموا من قدم عليكم ؟ قالوا لا ، قال قدم عليكم أفلح بن العباس[141] .

---

(140) ذكره ابن الصغير في الصفحة السابقة باسم محمود بن بكر .

(141) افلح بن العباس : هو الوالي على جبل نفوسة من قِبَل الإمام الرستمي بتاهرت ، وكان قبله الوالي أبو منصور إلياس الذي تولى ولاية نفوسة للإمام أفلح ثم لأبي اليقظان بن أفلح ثم لأبي حاتم بن أبي اليقظان ، وفي عهد هذا الأخير توفي أبو منصور إلياس وتولى من بعده الولاية أفلح بن العباس وهذا حسبما تشير إليه المصادر الإباضية ، أنظر أبو زكرياء : سير ، ص 99-104 ، الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84-87 . الشماخي : سير ، ص 262 .

فقالوا ومن أعلمك ذلك ؟ قال ابو اليقظان ، قال فخرجوا من عنده فأتوا حمود بن بكر وعيسى بن فرناس فقالوا لهما مكانكما من الامام مكانكما ومكاننا منكم مكاننا فكتمتما المقدم حتى اخبرنا به من هو دونكما . فقالا والله ما علمنا الا كعلمكم ، فمن اخبركم ؟ قالوا عبد العزيز بن الاوز . قالوا ومن أخبر عبد العزيز ؟ قالوا ابو اليقظان قال فخرجا يجران ارديتهما حتى دخلا على ابي اليقظان ، فقالا انت اعلمت عبد العزيز ان المقدم في سجلك على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال لا ، قالا فقد ذكر نفوسة[142] انك أعلمته بذلك دوننا ودون غيرنا ، قال أو قال ذلك المجنون ؟ قالا نعم ، فنادى يا بشير خذ معك اعوانا كفيا وجيء بعبد العزيز شر مجيء ، ثم قال ادخلا على نفوسة واجلسا حتى يأتي المجنون ، قالوا فما شعرنا ان جيء به ، فقال فمن اعلمك يا مجنون اني قدمت على نفوسة أفلح بن العباس ؟ فقال انت اعلمتني ، قال في اليقظة أم في النوم ؟ قال لا ولكن في اليقظة ، قال وكيف ذلك ؟ قال رأيتك اذا يسمى رجل منهم انقبض ما بين عينيك واذا سمي لك أفلح بن العباس انبسط ما بين عينيك ، فعلمت انك إياه تريد ، فقال خليا عن المجنون فقد كشف سرنا . فلم تزل ايام أبي اليقظان تامة ، ولا ينقم عليه احد شيئا مما ولي من افعاله ، ما خلا أولاده فإنهم ربما خرجوا عن الواجب من أفعالهم . ومما يذكر عنه من ورعه وتقشفه ، أن رجلا يكنى بأبي سابق

جانب من سياسة أبي اليقظان المالية

---

(142) المقصود به « ذكر أهل نفوسة » .

وكان خادما لأبي اليقظان في جميع أسبابه وكان يتولى علف فرسه ، قال لي احمد بن بشير : قال لي ابو سابق ، خرج ابو اليقظان يوما الى منزله الذي كان اختصه[143] بتسلونت[144] يتفقد في سايعته[145] وعبيده وابطأ في انصرافه الى ان دخل الليل ، قال ابو سابق فحططت عن الفرس وربطته على مدرته ، وخرجت لآتي له بعلفه من عند حريف[146] لي فألفيته قد اغلق الباب فملت الى بيت المال ففتحته واخذت منه علف الفرس ، وعلقت عليه ، ثم رجعت الى موضعي من القصر واذا بأبي اليقظان قد افتقدني مرة بعد أخرى فلما رأيته صعد اليه خادم فاخبره بمجيئي ، فقال أصعده الي ، وكان يستريح الي ويسألني عن اخبار الناس ، فقال وما حبسك وما ابطأ بك ؟ فاعلمته خبر الحريف غيبته ومجيئي لبيت المال واخذي العلف منه وتعالفي اياه الفرس ، فقال هذه يا ابا سابق والله لا قام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في بيت المال ما أخذته منه . قال فمضيت في ليلتي تلك حتى أتيت حريفي واخرجته من داره واخذت منه علف الفرس ثم مضيت وانزعت المخلة عن الفرس فكلت ما بقى واتممت ما اخرجت من بيت المال ورددته فيه

(143) ربما الصحيح اختطه .

(144) انظر ص 74 هامش 112 .

(145) سايعته . لا نجد هذه الكلمة في المعاجم العربية . ولعلها من اصل كلمة استسعى وسعى فيقال " سعى المكاتب في عتق رقبته سعاية » واستسعى العبدَ أي كلفه سيده من العمل ما يؤدي به عن نفسه إذا اعتق بعضه ليعتق به ما تبقى . والسعاية ما كُلّف من ذلك . إبن منظور : لسان . م 2 . ص 152 .

(146) أي صاحب حرفة . والمقصود هنا شخص تعوّد أن يشتري منه العلف .

وعلقت ما بقي على الفرس ، ومضيت اليه فاصبته جالسا ينتظرني ، فقال ما وراءك يا ابا سابق ؟ فاعلمته بما صنعت ، فقال لي احسنت اما الآن فأجلس . ولما مات ابو اليقظان فكل شيء وجد له من العين في تركته سبعة عشر دينارا ، وكانت لأبي اليقظان في امارته وقائع صارت تاريخا لموالد الناس لشهرتها الى ان قال ثم مات ابو اليقظان سنة احدى وثمانين ومائتين[147] وخلف من الولد الذكور عددا منهم يقظان الذي كني باسمه وكان ابنه يقظان هذا خرج الى الحج في حياة ابيه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم وابو خالد وعبد الوهاب ووهب وغيرهم ممن له ذكر . وانه لما مات ابو اليقظان قامت العوام واهل الحرف[148] ومن لف لفهم[149] ، فقدموا ابنه ابا حاتم بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم ، وكان أبو حاتم هذا فتى شابا وكان يجمع الفتيان الى نفسه فيطعم ويكسي ، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه ، فلما كان في بعض الاعياد وابو اليقظان حي في قصره لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة[150] ونادت بطاعته ، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك باغيا .

وفاة ابي اليقظان

(147) هذا هو التاريخ الوحيد الذي ذكره إبن الصغير في كتابه .

(148) وردت في الأصل « أهل الحروف » والصحيح ما أثبتناه في المتن ، وهو أيضا ما ترجمه موتيلانسكى أنظر Actes du 14e congrés p.114

(149) وردت في الأصل « ومن لف لهم » .

(150) درقة : الدَّرَقَ ضرب من الترَسة (جمع تِرس آلة السلاح المعروفة) الواحدة درقة تتخذ من الجلود أو هي الحَجَفَة وهي ترسٌ من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، إبن منظور : لسان ، م 1 ، ص 971 ،

ولاية أبي حاتم وايامه [151]

وهو يوسف بن محمد ، وقال مات ابو اليقظان وابناه جميعا غائبان ، يقظان بالموسم وابو حاتم قد كان اخرجه ابوه في جيش مع وجوه زناتة ليجيروا[152] قوافل قد اقبلت من المشرق ، وفيها اموال لا تحصى قد خافوا من قبائل زناتة ، فبينما ابو حاتم في القوافل قد خرج اليها اذ وافته خاتم رسل بموت ابيه وعقد الامارة له ، وذلك ان اباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم وابو (حاتم) على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر ، فلما وصل الى باب المدينة أزدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع الا وقت الظهر ، فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الايدي والاعناق ، حتى وصلوه الى داره ، ثم ارسلوا الى القبائل فبايعته ، فلما كمل امره وتمت بيعته

---

(151) أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281 هـ - 294 هـ) هو الإمام الرستمي السادس. أنظر مزيداً من المعلومات عنه في المصادر الإباضية . أبو زكرياء : سير ، ص 99 وما بعدها الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84وما بعدها الشماخي : سير ، ص 262 ، بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 134 جودت عبد الكريم : العلاقات ، ص 68 .

(152) وردت في الأصل « ليجوروا » وهو خطأ والصحيح يجيروا أي يراقبوا ويؤمنوا وصول القافلة إلى تاهرت .

خلت به عشيرته واخوته واعمامه وبنو أعمامه ومواليه فـاحبوا ان يجعلوا له حجابا وهيبـة ، وأبت العوام من ذلـك وارادت الـدنـو إليــه في كل الأوقــات على مــا كانت تعرف قبــل إمارته . وكانت مشايخ البلد من غير الاباضيـة قد استولوا عليـه ، منهم رجل يعرف بـأبي مسعـود وكان كـوفيـا فقيهـا بمذاهب الكـوفيين[153] ، ومنهم شيـخ يعرف بـأبي دنـون ، وكان على مثـل صاحبـه من الفقــه الكـوفي ، ومنهم رجـل يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقـه ولكن كانت له رياسة في البلد ومحبة عنـد العوام ، وكانوا[154] هؤلاء قد طمعوا ان يبيتوا خبر الاباضيـة ويطفوهم ، وكان لأبي حـاتم رجـلان من خـاصتــه من أهـل المـدينــة من أهـل الحرب والنجدة ، وكانا هما اللذان وليـا العقـد لـه ، وكان يعلم منهما انهما جريئان . وذلك أنـه انصرف يومـا من عنـد أبيـه وقـد أخذ[155] في شيء عليه ، فقالا لـه ما بـالـك ؟ فقـال نـازعني أبي كذا وحل علي أخي بكذا ، فقالا لـه لا عليـك اثبت كما انت وخل بيننـا وبين هـذا الخوخـاء[156] نحن نـدخـل اليـه فنقتلـه ويصير الأمر اليـك ، فهـالـه مـا سمع منهما فـاستنكر ذلك وكان يقـال لأحـدهمـا محمـد بن ربـاح وللآخر محمـد بن

فتنـــة محمـــد بن رباح ومحمد بن حماد

(153) لعل أبرز مذاهب أهل الكوفة في هذه الفترة المذهب الحنفي حيث أن الكوفة هي موطن أبي حنيفة النعمان بن ثابت (80ـ150 هـ) إمام المذهب الحنفي . وكذلك نجد الشيعة تستوطن هذه المدينة حيث مشهد الإمام علي (ض) .

(154) الأصل أن يقال « وكان هؤلاء » .

(155) ربما الصحيح « وقد آخذه » .

(156) الخوخاء أو الخوخاة وكلاهما يجوز وهو الرجل الأحمق . إبن منظور : لسان ،م 1 ، ص 917

حماد ، فاتصل بأبي حاتم مع منافرته لمشايخ اهل المدينـة انهما قد قالا لمشايخ أهل المدينـة مثل مـا قـالا لـه في أبيـه ، فلم يشك ابو حاتم عند ما بلغـه انهما قـد قـالا مـا قـالا . فجمع جماعـة من اهل بيتـه وجماعـة من اهل المـدينـة ، فقـال لهم أخرجوا عني محمد بن رباح ومحمد بن حماد فأمر بهما فأخرجا . وكان لمحمد بن حماد على بعض اميال من المدينـة منزل يقـال لـه المثلث قـد جمع الاشجـار والانهر[157] والمـزارع والنخـل والقصـور فخرجـا جميعــا الى ذلــك المنزل في أنعم عيش وأرغده ، ثم أبه[158] الشيطـان لهما الى ان جـاء لهما واقبـل وادبر فقال مثلكما ينفى وانتما اللذان عقدتما الامـارة ؟ فلم يـزالا يرسـلان رسـولا بعـد رسـول الى من في المـدينــة من اخوانهما ويقـولان لهم اترضـون ان يكـون مثلنــا ينفى من البلد بلا جنـايـة كانت منـا . فيجتمع اخوانهم ويقولون والله لقد صدقا ، ثم اتفق من بالمدينـة من اخوانهم على ان يرسلوا اليهما فيدخلوهمـا على رضي الراضي وسخـط السـاخـط ، فما شعر ابو حاتم الا والتكبير عليهما في المـدينـة ، ففزع لـذلـك وارتاع وعلم انها ليست بدار قرار ، فـاجتمع اليـه قومـه واهل بيته فقالوا له قـد اعلمنـاك هـذا أولاً ، ولكن أقم بين ظهران القوم ونخرج نحن الى حصننا الذي به مواشينا وعبيـدنـا وهو حصن يعرف بماليت في طرف لـواتــة ، فـاذا صرنـا اليـه

(157) الأصح الأنهار كما قلنا سابقاً .

(158) أبه ، أبها وأبهاً فطن وقيل أبه للشيء أبَهاً : نسيه ثم تفطّن له . إبن منظور : لسان ، م 1 ، ص 10 .

واجتمعنا به ورأينا به لواتة وغيرها من القبائل ناصرنا اخرجناك الينا ، فنعلوا ذلك فلما رأت بقية العجم الساكنين بمدينة تاهرت ما فعلت الرستمية خرجت الى حصنها وفعلت نفوسة مثل ذلك . ثم اقام ابو حاتم بعد ذلك أياما ، ثم خرج وخرج معه من وجوه اهل البلد من السمحيين[159] وغيرهم نحو مائة رجل ، وكان الخارجون معه حماة البلد منهم رجل يعرف ببكر بن يبيدى ، ومن السمحيين[160] رجل يعرف ببكر بن الواحد . وكان هذان الرجلان فارسي المغرب ، وبقيت العامة ومشايخ البلد في جمع عظيم وعلموا أن الحرب قد دهمتهم فاسرعوا في بنيان حصنهم ، ثم ان ابا حاتم لما خرج اجتمعت لواتة كلها اليه . فأعطى الأموال وحمل على الخيل . فاجتمعت قبائل الصحراء اليه . خلا الحصن المعروف بتالغمست[161] واهل الصفرية[162] فإنهم مالوا الى المدينة ، ثم جمع ابو حاتم جموعه وزحف الى المدينة من ثلاثة مواضع : من القبلة والمشرق والمغرب ، فتولى بنفسه القبلة مع لواتة والرستمية وما شايعها ، وتولى المشرق العجم وصنهاجة ومن

(159) (160) وردت السيحيين وهو خطأ في أصلنا والصحيح هو السمحيين . وهل يمكن أو يجوز أن يسمى رجل ببكر بن الواحد ويكون من السيحيين . ولعل التحريف من موتيلانسكي لأنه لا يعرف السمحيين .

(161) تالغمست هي القرية المعروفة اليوم بتيلغمت في صحراء الجزائر على الطريق الرابطة بين مدينة الأغواط ومدينة غرداية وتبعد عن هذه الأخيرة بنحو 90كيلومتراً . وأنظر الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 269-270 .

(162) الصفرية : وهم أتباع عبد الله بن الصفار وإليه النسبة . قيل سمّوا بذلك لصفرة وجوههم من كثرة العبادة وهذا ضعيف . أنظر المبرّد : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ص 105 . والصفرية كما هو معروف من مذاهب الخوارج .

شايعها ، وتولى المغرب طوائل[163] من الناس مع نفوسة ، وكان قتال شديد من الوجوه الثلاثة ، وكانت الدائرة من الوجوه الثلاثة على اهل المدينة فقتل من ناحية القبلة رجل من اهل دمر ، وقتل من ناحية المشرق رجل يعرف با (...)[164] قتلته العجم ، ولم يصب من ناحية المغرب احد . وكانت مادة هذا المقتول رجل سيء الحال فلما قتل ولده ، عدى على رجل يقال له جان من العجم من سكان المدينة فقتله غيلة من غير ان يشعر به الناس ، فلما علموا[165] الناس بالاذاة[166] بادروا اليه ليقتلوه به فولى هاربا فلم يقدر عليه ولم يعرف له مكان ، فاجتمع الناس فقالوا نحن انما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، واذا كان يقتل بين ظهرانينا رجل بغير حق فامضوا بنا الى ابي حاتم لندخله يقتل هذا واشياعه ويحكم فيمن بقي كيف يشاء ، وأرسلوا بذلك الى ابي حاتم فقال لا أفعل إلا أن تدفعوا الى مشايخكم ومن اثار هذه الفتنة منكم ، فندم عند ذلك اهل المدينة وانكسروا عما كانوا عليه ، وتجدد الحرب الى ان قال : واجتمع وجوه اهل المدينة فقالوا ان القبائل رمتنا عن قوس واحد . والاباضية قد

(163) طوائل : ربما يقصد بها الكثرة من الناس ولكننا لا نجد هذا المعنى في القواميس العربية لأن الطائلة والطوائل تعني العداوة . أنظر إبن منظور : لسان ، ج 2 ، ص 630 .

(164) بياض في الأصل .

(165) الأصح أن يقال « فلمّا علمَ الناسُ » .

(166) الأذاة : الأذى يقال آذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية . إبن منظور : لسان ، م 1 ،ص 41 .

كلبت علينا وهم لا يكفون عن حربنا ما لم يكن عندنا رئيس من الرستميين ينحل مذاهب الاباضية ، وقد علمتم ان يعقوب بن أفلح مصارم لأبن أخيه منذ زمان ، وان ابا حاتم منذ ولي ترحل يعقوب ونزل بزواغة فلم يدخل للرستمية جمعا ولا اعان ابن أخيه برأي ولا غير ذلك ، فأرسلوا إلى يعقوب بن أفلح [167] .

(167) لا تذكر المصادر الإباضية شيئاً عن منافسة يعقوب بن أفلح لإبن أخيه أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان بن أفلح ولكنها تشير إشارة عابرة إلى أنَ أبا حاتم إطَردَت له الأمور ولم تضف أيَ شيء آخر ، أنظر : أبو زكرياء : سير ، ص 99 . الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 84 ، الشماخي : سير ، ص 262 .



ولاية يعقوب بن أفلح [168]

ولما اجمع اهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح وأرسلوا اليه وادخلوه المدينة وعقدوا له الولاية انكسرت شوكة الاباضية ودخل عليه جماعة منهم ، ورجعت اليه جماعة من لواتة وبقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم الا انها ضعفت وانكسرت نواكبها وجمهور الاباضية مع أبي حاتم . الى ان زحف وانودين [169] بن معه وزحف أبو حاتم ومن معه ، فلما فعلا أمر يعقوب بن أفلح بأبواب المدينة فغلقت الا بابا واحدا وقف عليه يعقوب جمهور الناس ويميل بالحملة من معه اذا قرب العساكر منه ، فلم يزل الناس متواقفين الى ان حضر صلاة الظهر . فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك وصلى الناس صلاتهم ووانودين ومن معه قائمون ينظرون الى الناس فيسقط في

(168) لإباضية لا يعتبرون يعقوب بن أفلح من أئمة الدولة الرستمية وكذلك اليقظان بن أبي اليقظان الذي ارتقى عرش الرستميين بعد مقتل الإمام أبي حاتم يوسف وإنما يعتبرون الدولة الرستمية وإمامتها انقطعت بموت الإمام أبي حاتم يوسف سنة 294 هـ . أنظر الدرجيني : طبقات . ج 1 . ص 94 . الباروني : الأزهار ، ج 2 . ص 272 وقد حكم يعقوب بن أفلح في تاهرت بعد خروج الإمام أبي حاتم منها أربع سنوات أي (281-284 هـ) . وأنظر علي يحيى معمر : الإباضية في الجزائر . ص 83 .

(169) لأول مرة يذكر إبن الصغير هذا الشخص ، ولا يذكر عنه أي شيء أخر لانجد له ذكراً في الكتب الإباضية ما عدا الباروني الذي يذكره نقلا عن إبن الصغير ويسميه « وانودي » . الباروني : الأزهار ، ج 2 ، ص 272 .

ايديهم ، وتحولت نياتهم على المحاربة وندموا على قدومهم .
غير ان ابا حاتم ومن معه من العجم استداروا من جهة
المشرق وحلوا مصاف رجاء ان يصيبوا غرة[170] ففتح من
كان بناحية الباب الشرقي الباب وخرجوا اليه حملة واحدة
فولوا منهزمين بين ايديهم ، فلما رأى وانودين ما رأى
انصرف بعساكره وضعفت الحرب بعد ذلك . وتطامع الناس
في العافية . وكان يعقوب بن أفلح بعيد الهمّة نزيه النفس

نزاهة يعقوب بن أفلح وورعه

ما جس بيده دينارا ولا درهما ، وكان اذا اتى وكيله بغلاته
أمره ان يجعلها تحت بردعة له يجلس عليها واذا اراد اخراج
شيء منها دفعه بقضيب من يده ، وكان اذا سافر ونزل بقوم
لا يأكل لهم طعاما . وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه
في اناء جديد فاذا امتلأ شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثا لا
يأكل طعاما ولا يشرب شرابا ، ولا يخرج لبراز ، وكان
وضوءه طاهر (كذا) في الموضع الذي يكون فيه . شهد منه
ذلك جماعة ممن صحب واستفاض ذلك عنه حتى صار
كالعيان . وكانت له أخلاق في لباسه وركوبه . يخرج عن
طبع البشر[171] . حجرة سراويله في جنبه . وركوبه فرسه
من بين يديه . وكان له فرس اشقر لم يكن بالمغرب مثله
قبله ولا بعده ، به يضرب المثل الى اليوم[172] . فلما طالت

(170) وردت في الأصل « عزة »

(171) وردت في الأصل « الشر » .

(172) نفس هذه المعلومات تقريبا عن الفرس الذي يملكه يعقوب بن أفلح والذي به هرب من قبضة العبيديين سنة 296 هـ إلى مدينة وارجلان . نجدها في المصادر الإباضية : أبو زكرياء : سير ، ص 124 الدرجيني : طبقات ، ج 1 ، ص 104 .

الحرب بينه وبين ابن أخيه ورقت . وتطامع الناس
العافية ، نزل أبو يعقوب المزاتي[173] بجميع مزاته حول البلد
وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت اليه القبائل وقالوا لو
جعلت الهدنة بين هذين الفريقين الى مدة معلومة يأمر
الناس اليها فقد قطعت السبل وفرغ من ايدي الناس
الحرث والنسل[174] ، فسعى في ذلك واجتهد حتى اشتهى
الفريقان . فقالوا ليعقوب قدم من يعقد لك الهدنة فقدم
عبد الله بن المطي صاحب المسئلة[175] في أعلى الكنار ،
(كذا) وقدم أبو حاتم منكود وابن ابي عياض اللواتيين[176] .
وبرز الناس من كلا الفريقين وسلموا الامر لمتولي عقد
الهدنة ، فعقدوا ان يرفعوا أيدى أبي حاتم ويد يعقوب عن
النظر أربعة اشهر ، ويمشي الناس الى الناس ويدخل بعضهم
على بعض وتأمن الساحات . فتم العقد على ذلك وتطامع
الناس العافية ووجدوا حلاوتها . وكان أبو حاتم اذا لقي
أحدا من وجوه أهل تاهرت وشبابهم استماله ، فان كان على
القرب استمال به الى نفسه ، وان كان على البعد زوده
وأعطاه ، فمالت قلوب الناس اليه . ومن[177] يشب في
سفك الدماء واكل الاموال فانه بقي متصلا بيعقوب . وأبو

(173) أبو يعقوب المزاتي من أرباب الثروة وكذلك قبيلته مزاتة أنظر البـاروني : الأزهار . ج 2 ، ص 272 . وقد قال الإمام عبد الوهاب « إنما قام هذا الدين بأموال مزاتة وسيوف نفوسة » .

(174) وردت في الأصل « النهل » وهي تصحيف نسل .

(175) ذكره إبن الصغير في المناظرة التي جرت بين الإباضية والمعتزلة أنظر صفحة 82 .

(176) لا تذكر المصادر الإباضية هذين الشخصين .

(177) وردت في الأصل « ممن » وهي لا تؤدي المعنى المطلوب والصحيح « ومن » .

يعقوب المزاتي دائما في اصلاح ما رأى فيها الناس ذات يوم في عيد من اعيادهم ، اذ اقبل رجلان من أخريات الناس على المدينة . ولم يكن في البلد اذ ذاك أوسع منهما جاها ولا أكثر عشيرة ولا اسمع قلبا ، يقال لأحدهما احمد والآخر محمد يعرفان بابن دبوس[178] ، وبين ايديهما قفوهم[179] يقولون من أراد العافيةُ[180] فليصعد الى الكنيسة . وكانت دار هاذين الرجلين تعرف بالكنيسة . فبادر الناس ولم يختلف عنهما أحد خلا يعقوب وشيعته وبعض مشايخ ممن يشب في عداوة أبي حاتم منهم شيخ يعرف بابن مسعود هو شيخ البلد ومقدمهم . فلما رأى إبن مسعود اجتماع الناس واطباقهم على هذين الرجلين صعد لهما وقال لهما ويحك ، الى ان قال : فلما دخل الليل ركب محمد واحمد فرسيهما وعلم بذلك من شاء من الناس فتبعوهما وخرجا قاصدين نحو أبي حاتم واتصل الخبر بيعقوب وشيعته فركبوا خيولهم وخرجوا نحو زواغة فبينما أبو حاتم في منزله وقصره بنهر مينة اذ دخل عليه محمد واحمد وجماعة الناس فقالوا قم فاركب الساعة فخرج معهم وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله فلم يصبح الا على باب المدينة وبادر اليه الناس أجمع .

---

(178) لا تذكر المصادر الاباضية بن دبوس . ولكني لم [illegible] ذكر اجل عمدتهم ومصححيه من اهل تيهرت ونصب اهتمامه على غيره ومصححي جبل نفوسة ومناطق القريبة منه فقط .

(179) قفوهم : لا تذكرها المعاجم والقواميس العربية . ولعل المقصود بها « جماعتهم » وهي من كلمة « قوفيهم » .

(180) وردت في الاصل « للعافية » .

دخول أبي حاتم تاهرت وسيرته بها

قال : ولما دخل أبو حاتم مدينة تاهرت جمع مشايخ البلد اباضيتها وغير اباضيتها فاستشارهم فيمن يوليه قضاء المسلمين فقالوا له ان اباك لما دخل كدخولك ولى محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ وهو القاضي الذي قدمنا ذكره قبل هذا[181] ، ولمحمد ولد يسمى عبد الله وما هو دون أبيه في الورع والعلم وأنت عالم بورعه ودينه كما نحن عالمون به فقال اشرتم وأحسنتم ، وولاه القضاء ثم قال من ترون ان نولي بيت ''ال فقالوا عبد الرحمان بن صواب النفوسي ، فقال أصبتم وأحسنتم فقال من ترون أن نوليه الشرطة فقال قوم زكار وقد قتل ابنه بين يديك وله نصيحة ، وقال قوم ابراهيم بن مسكين فان له صلاته في الحق[182] ، فولاهما جميعا وكان البلد قد فسدت وفسد اهلها في تلك الحروب ، واتخذوا المسكر أسواقا ، والغلمان اخدانا ، فلما ولي هذان الرجلان الشرطة قطعا ذلك في أسرع من طرفة العين ، وحملا على الناس بالضرب والسجن والقيد ، وكسّرت الخوابي بكل دار عظم قدرها أو صغر ، وشردت الغلمان واخدانهم الى

---

(181) أنظر صفحة 77 ، هو قاضي الإمام أبي اليقظان ، وأنظر الشماخي : سير ، ص 262 .

(182) يذكر الشماخي هؤلاء الأشخاص نقلا عن إبن الصغير ، أنظر سير ، ص 263 .

رؤوس الجبال وبطون الأودية ، وحمل الناس على الواضحة وأخاف[183] النطف وأمن البرى[184] ، وشردت السراق وقطاع الطريق ، وامنت السبل ومشى الناس بعضهم الى بعض . ولم ينقموا على ابي حاتم شيئا ثم نقموا بعد ذلك شيئا أخذه ناسا بالتهمة وضرب السوط على الظنة الا ان البلد وقضاته وأصحاب بيت أمواله وأصحاب شرطته ومن بالبلد من فقهاء الإباضية وغيرهم لم يطالب بعضهم ولا سعى بعضهم ببعض \ وكانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئا الا ان الفقهاء تناجت[185] المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة ان تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها (كذا) ومن أتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه الطف مناظرة وكذلك من أتى من الإباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك . قال لي يوماً ، ونحن في أعلى مسجد بالرهادنة ، رجل من وجوه الاباضية من هوارة يسمى سليمان ويكنى بأبي الربيع[186] ، من اين زعمت وزعم اصحابك وغيرهم من الحجازيين[187]

ملامح من الحياة الفكرية في عهده

(183) وردت في الأصل « خاف » .

(184) البري : أو البرية أو الورى شيء واحد والمقصود بها الخلق . أنظر إبن منظور : لبيان ، ج 1 ، ص 206 .

(185) وردت في الاصل « تنحبت » .

(186) أبو الرّبيع سليمان الهوّاري ، تذكر المصادر الإباضية العديد من الأشخاص بهذا الإسم والكنية ولكنهم نفوسيون على أكبر تقدير . وأقربهم إلى فترة إبن الصغير سليمان بن زرقون وسليمان بن ماطوس أبو الربيع . وكلاهما من الطبقة السابعة (300-350 هـ) أنظر الدرجيني : طبقات ، ج 2 ، ص 349 .

(187) لعله يقصد بالحجازيين أتباع الإمام مالك بن أنس (ض) أي المالكية .

والعراق[188] ان الرجل اذا زوج ابنته البكر وهي صغيرة وادركت ان لا خيار لها في نفسها وانتم تقولون ان الرجل اذا زوج أمته وعتقت أن لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة لأن الآمة لم يكن لها حكم في نفسها وانما كان الحكم لسيدها فلما عتقت وصار الحكم اليها جعلتم لها الخيار والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وان الحكم لأبيها فلما ادركت صار الأمر اليها فلم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد ؟ فحكيت ما ذكر لي لغير واحد منهم وسا اعتللت به عليه فاعتلوا بعلله وغير علله وزادوا ونقصوا . وقد جمعت[189] ما دار من جميع ذلك بيني وبينهم مما اعتلوا به ومما يدخل لهم ، او ما ذكروه ، فقلت له ولغيره ممن كلمني ، إنّا انما اجزنا نكاح الصغار لأن النبي ﷺ تزوج عائشة بنت ابي بكر بنت سبع وبنى بها وهي بنت تسع فقال لي دعني من هذا فاني لا اجامعك عليها ، ولكن كلّمني من القرءان أو من باب النظر ، مع أني لو بينت لك الخبر ما كان لك فيه حجة . لأنك تعلم ان الله أحل لرسوله من النساء ومن عددهن أكثر مما أحل لأمته ، وأحل له الموهبة وغير ذلك ، فان كان عندك حجة غير هذه فاذكرها والا فلا تقم لك حجة ؟ قلت له فان أوجدتك صحة عقدها من القرءان أترجي ؟ قال لي من القرءان فقلت [illegible] علي

(188) لعله يقصد بالعراق أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان (ض) أي الأحناف أو مذاهب الشيعة .

(189) وردت في الأصل « اجتمت » وترجمها موتيلانسكى إلى خصت .

ثلاثا وفي كل ذلك أقول نعم ، فقال فاذكر لي ذلك فقلت له قال الله تبارك وتعالى : « واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الى واللائي لم يحضن »[190] فقال لي عجبا منك ، أنا أسألك عن عقد النكاح وفسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات[191] وعدة اللائي لم يحضن ؟ فقلت هيهات أبا الربيع غاب عنك المراد ، قال وما غاب عني من ذلك ؟ فقلت أخبرني عن هذه العدد الموصفات من طلاق وقعن أم من غيره ؟ قال من طلاق ، قلت فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح ؟ قال لا ، قلت في المويسات فمنهن[192] اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحيض مثلهن ؟ قال نعم ، قلت واللائي لم يحضن من الصغر قال نعم قلت فاوجب الله عليهن عددا قال نعم ، قلت أمن طلاق أم من غير طلاق ؟ قال من طلاق ، قلت فيكون طلاق من غير عقد نكاح ؟ فسكت ولم يرد جوابا . فأعلمت غيره بما دار بيني وبينه فقال لي مضى[193] في المطالبة لك ، فقلت فاذكر لي ما مضى[194] فيه ؟ قال قول الله « واللائي لم يحضن » المراد التي لم يخلق فيهن الحيض وهن الكبائر لا الصغار ،

(190) أية رقم 4 سورة الطلاق وتمام الآية : « واللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً » .

(191) المويسات : لم ترد في القواميس العربية

(192) ربما الصحيح أن يقال « أَفَمِنْهُنَّ ... ؟ » .

(193) (194) وردت في الأصل « مضر » وهو تصحيف « مضى » على ما يبدو . وقد ذكر إبن منظور كلمة « مضر » ولكنها لا تؤدي المعنى المقصود في نص إبن الصغير . أنظر لسان العرب ، ج 3 ، ص 496

قلت هذا غلط في اللغة يلزمك فيها من الشناعة اكثر مما لزم صاحبك ، قال وكيف ذلك قلت « لم » لا توضع للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع « لم » ، « لا » فيقال لا تحيض[195] فلانة اذا نفوا عنها المحيض أي ليست ممن تحيض ، واذا قيل لم تحض فلانة معناه انها لم تحض بعد وانها ستحيض في المستقبل . وربما حرَّف خطباءهم اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه ، حضرت لهم خطباء كثيرة أولهم ابن أبي دريس ، والثاني احمد التيه والثالث ابو العباس بن فتحون ، والرابع عثمان بن الصفار ، والخامس احمد بن منصور[196] . فسمعت احمد التيه يقرأ بعد فراغ الى ان بلغ « تنزيلا ممن خلق الارض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى »[197] فحرف المعنى عن موضعه اراد أن يقيم أصله وجعله[198] بابا من الحلول على العرش[199] . وكل

(195) في الأصل وردت هذه العبارة مرتبكة هكذا « قلت لم لا تضع إلا للمستقبل ولو أراد ما قلت لكان موضع لم لأن لابها فيقال لا تحيض فلانة » والتصحيح من مطبوعة تونس .

(196) يذكر الشماخي هؤلاء الخطباء نقلا عن إبن الصغير . أنظر سير الشماخي ، ص 263 .

(197) أية رقم 5 سورة طه .

(198) وردت في الأصل « وحفله » .

(199) إن إبن الصغير هنا أمام اتهام خطير للإباضية بتحريف اللفظ عن موضعه في القرءان الكريم . ويبدو لنا من المثال الذي قدمه إلينا إبن الصغير وهو « الرحمن على العرش استوى » وقال بأن الخطيب الإباضي حرّف المعنى عن موضعه ليجعله باباً من الحلول على العرش . إنما قال ذلك من باب سوء الفهم . فلعل الأمر هنا مجرّد اختلاف في القراءات لا غير . أساء إبن الصغير فهم ذلك . فتلك التهمة التي أطلقها متحرّجاً (ربّما) على الإباضية لا يمكن فهم معناها وحملها الا على هذا الوجه وأنها مجرد اختلاف في القراءات . إذ الإباضية ، حسبما نعلم ، لم تتّهم بتحريف اللفظ أو الكلم عن مواضعه في يوم من الأيام . ولا أدلّ على ذلك من الخطبة التي سيذكرها إبن الصغير نفسه والتي قال فيها الخطيب الإباضي « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه .... الذي لم يزل بصفاته وأسمائه ، لا يشتمل عليه زمان . ولا يحيط به مكان . خلق الأماكن والأزمان .... تعالى أن تطلق في وصفه آراء المتكلفين ... » . أنظر بحاز ابراهيم : الدولة الرستمية ، ص 327 وأنظر إبن الصغير في الخطبة التي بآخر كتابه .

من رأيت من خطبائهم على منابرهم فليس يستمعون الا خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، خلا خطبة التحكيم فانهم كانوا اذا فرغوا من الخطبة الأولى قاموا الى الثانية وحكّموا ، وسوف اذكر خطبة التحكيم فيما يلي هذا الكلام . فلم يزالوا كذلك الى ان ولي الخطابة رجل منهم يقال له احمد بن منصور ، وسمعته يخطب بهذه الخطبة ثم يخطب بعدها بخطبة التحكيم ، فلقيته وعانيته[200] ، وقلت له ان خطبتك التي سمعت منك اليوم ليست من خطب أسلافك ، فقال لي حملني عليها عثمان بن احمد بن يخياج[201] ، وكان مقدما عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطبت بها لأنه استحسنها لي . والخطبة هي هذه « الحمد لله الذي ابتدأ الخلق بنعمائه ، وتغمدهم جميعا بحسن آلائه[202] ، فوفق كل أمرء منهم في صبائه ، على طلب ما يحتاج اليه من غذائه ، وسخر له من يكلوه[203] الى وقت استغنائه ثم احتج على من بلغ منهم بالايات وحذر اليهم بانبائه واعذر اليهم بابلائه، (كذا) الذي لم يزل بصفاته واسمائه، لا يشتمل عليه زمان، ولا يحيط به مكان . خلق الاماكن والازمان ثم استوى الى السماء وهي

النص الكامل خطبتي جمعة

(200) ربما الصحيح « عاتبته » .

(201) لا تذكر المصادر الاباضية عثمان بن احمد بن يخياج رغم انه من المقدمين ومن الذين لا يخالفون في رأيهم . وقد ذكرنا فيما سبق أسباب إهمال المصادر الإباضية لكثير من أعلامها التيهرتيين خاصة .

(202) وردت في الأصل « بلائه » .

(203) كلأ . يكلأ : حفظ يحفظ : قال تعالى : « قل من يكلؤكم بالليل والنهار » أي **يحفظكم** . أنظر : إبن منظور : لسان . ج 3 . ص 281 .

دخان ، فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقدرها احسن تقدير ، واخترعها من غير نظير ، لم يرفعها باعمدة تدرك بالمعاينة ، ولم يستعن عليها بأحد استكبارا عن الشركة والمعاونة وزينها للناظرين ، وجعل فيها رجوما للشياطين فتبارك الله أحسن الخالقين ، تعالى ان تطلق في وصفه اراء المتكلفين أو أن تحكم في دينه اهواء المتقلدين ، بل جعل القرءان اماما للمتقين وهدى للمؤمنين ، وملجأ للمتنازعين ، وحكما بين المتخالفين ودعا أولياءه المؤمنين الى اتباع تنزيله ، وامرهم عند التنازع في تأويله بالرجوع الى قول رسوله ﷺ ، بذلك نطق حكم كتابه اذ قال جل ثناؤه « يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، الى قوله واحسن تأويلا »[204] وتعهد[205] نبيه ﷺ عند رجوع الأمة في تأويل ما أشكل عليها اليه بأن بين لهم معنى ما أنزل عليه فقال « **ما انزلنا عليك الكتاب الا لِتُبَيِّنَ لهم الذي اختلفوا فيه** »[206] ولم يكل لهم تعالى الى القول في دينه بآرائهم ، ولا اذن لهم في مسامحة اهوائهم فتكون الاحكام مبتدعة ، والآراء مخترعة ، والاهواء متّبعة[207] بل احصاها كل شيء عددا

(204) آية رقم 59 سورة النساء . وتمام الآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

(205) وردت في الأصل « وتعبد » .

(206) آية رقم 64 سورة النحل وتمام الآية « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

(207) وردت في الأصل « مبتدعة » .

وضرب لكل شيء امرا ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحي من حيي عن بينة . احمده حمدا يبلغ رضاه ويحسن الاه واستعينه على ما استحفظنا من ودائعه وحفظنا ما استودعنا من شرائعه وأومن به إيمان من اخلص له عبادته واستشعر طاعته . واتوكل عليه توكل من انقطع اليه ثقة به ورغبة فيما لديه واشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة معترف له بالربوبية والتوحيد مقرا له بالعظمة[208] والتجيد خائفا من انجاز ما قدم اليه من الوعيد واشهد ان محمدا عبده ورسوله أصطفاه لنفسه وليا وارتضاه لخلقه نبيا فاوجده على حفظ ما ضمنه قويا وباداء ما استودعه مليا وبالدعاء الى ربه حفيا ومتوفقا عن ورود المشكلات ومشمرا عند انجلاء[209] الشبهات لا يرعوى لمن عذله ولا يلوى على من خذله ولا يطيع غير من ارسله يصدع بالامر ويطفي نار الكفر ولا تأخذه في الله لومة لائم . ولم ينحرف عنه لرغم راغم ارسله على حين فترة من الرسل ودرس من السبل وتضامن من اهل الملل ، والناس فريقان عالم متكبر وجاهل مستطير فالعالم الذي سبق له الخذلان ينزعه الشيطان ويجمح به الطغيان فيستنكف عن الدخول في دين الايمان ، والجاهل مستنكع في غيه متحير في امره منتظر ما يكون من غيره فلم يزالا يعكفان على الازلام ويعتصمان بالاصنام والرسول عليه السلام يرعا رعى السوام ويدعوهم الى دار

(208) وردت في الأصل « بالتقضمة » والصحيح « بالعظمة » .
(209) وردت في الأصل « نجلاء » .

السلام فلم يزل ﷺ يعظهم بالايات ويقرعهم بالمعجزات حتى استقام من اراد الله توفيقه من سائر أهل الديانات فبلّغ المحكمات واوضح المشكلات وزجر عن القول في الدين بالشهوات ، فختم الله به النبيين واكمل به الدين واوجب به الحجة على العالمين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين واخوانه من المرسلين واوليائه من المؤمنين » . ثم جلس ثم قام وقال « الحمد لله نستعينه ونستغفره ونؤمن به ونستهديه ونستنصره ونبرا من الحول والقوة اليه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . الله ربنا ومحمد نبينا والاسلام ديننا والكعبة قبلتنا والقرءان امامنا . رضينا بحلاله حلالا وبحرامه حراما لا نبتغي عنه بدلا ولا عنه حولا ولا نشتري به ثمنا لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام وخلافا لأهل البدع . لا حكم الا لله خلعا ونبذا وفراقا جميع اعداء الله . لا حكم الا لله ولو كره الجبارون الحاكمون بغير ما انزل الله ونشهد ان من لم يحكم بما انزل الله فاولائك هم الكافرون والظالمون والفاسقون . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما صليت وباركت ورحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم صل على العصبتين المباركتين من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان . اللهم وارحم

الـ[illegible] في سبيلـك أهل الفضـل في الاسـلام اللهم وصـل على الخليفتين المباركين بعد نبيك **محمـد أبي بكر وعمر**[210] امـامي الهدى بما عملا به من كتابك **ومـا أثراه من سنـة** نبيـك اللهم واصلـح الامير يـوسف بن **محمـد**[211] . **اصلحـه** واصلـح على يديه ووفقه للخير ...[212] **وأعنه عليه وافتح لـه** من عنـدك أعوانـا وانصـارا على **طـاعتـك اللهم** اعزز بـه الاسلام واهلـه واذلل به الكفر واهله . انصره نصرا عزيزا ، وافتح له فتحـا يسيرا وهب له من عنـدك سلطـانـا نصيرا . كفى بـك وليـا وكفى بك نصيرا . اللهم اغفر لنـا ولإخوانـا الـذين سبقونـا بـالايمـان ولا تجعل في قلوبنـا غلا للـذين آمنـوا ربنـا انـك رؤوف رحيم . ثم قرأ « قل هو الله أحد »[213] ثم نزل .

---

(210) هنا نلاحظ توقف بعض الإباضية ، على الأقل ، عند خليفتي الحجرين عثمان بن [illegible] في ندية حديثة عن الخطبة ذكر أنها ليست من خطب أسلاف أحمد بن منصور الخطيب وإنما حمله عليه عثمان بن أحمد بن يحياج ربما يكون من المتطرفين .

(211) هو الإمام أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان محمد ، سادس الأئمة الرستميين .

(212) بياض في الأصل .

(213) هي سورة الإخلاص في القرءان الكريم ورقمها : 112 .

قائمة المصادر والمراجع والدوريات المعتمدة في التحقيق :

ـ إبن الأثير عـز الـدين علي بن أبي الكرم (ت 630هـ) : الكامـل في التـاريـخ ، تحقيـق نخبـة من العلمـاء ، ط 2 ، دار الكتـاب العربي ، بيروت ، 1387هـ/1967م .

ـ إبن جميع أبو حفص عمر : مقدمة التوحيـد ، شرح أبي العبـاس الشماخي وأبي سليمان التلاتي ، ط 2 ، الجزائر ، 1392هـ/1973م .

ـ إبن حـزم علي الظـاهري : (ت 456هـ) الفصـل في الملـل والأهـواء والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، بلا تاريخ الطبع .

ـ إبن عـذاري المراكشي أبـو عبـد الله محمد : (ت في نهـايـة القرن السـابع الهجري) البيـان المغرب في أخبـار الأنـدلس والمغرب ، تحقيـق ج.س. كولان وليفي بروفنصال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1948 .

ـ إبن منظور محمد بن مكرم : (ت 711هـ) : لسان العرب المحيط : اعداد يوسف الخياط وآخر دار لسان العرب ، بيروت ، 1970م .

ـ أبـو زكريـاء يحيى بن أبي بكر (ت 471هـ) : كتـاب سير الأئمـة وأخبـارهم ، تحقيـق إسماعيـل العربي ، إصـدارات المكتبـة الـوطنيـة ، الجزائر ، 1399هـ/1979م .

ـ أبو الفـداء عمـاد الـدين اسماعيل بن عمر : (ت 732هـ) تقويم البلـدان ، تصحيح رينـودو وآخرين ، دار الطبـاعة السلطـانية ، باريس 1840م .

— أطفيش امحمد بن يوسف (قطب الأئمة) (ت 1332هـ/1913م) : رسالة إن لم تعرف الاباضية يا عقبي يا جزائري ، تصحيح قاسم بن سعيد الشماخي العامري وآخر ، بلا مكان الطبع الحجري ، 1328هـ .

— الألباني محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ط 2 ، المكتبة الإسلامية ، عمان ، الدار السلفية الكويت ، 1404هـ/1983م .

— الباروني سليمان بن عبد الله : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، مطبعة الأزهار البارونية ، مصر (بلا تاريخ الطبع)

— بحاز ابراهيم بكير : الدولة الرستمية 160هـ/296هـ دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية ، أطروحة ماجستير في جامعة بغداد سنة 1983م وهي تحت الطبع .

— البرادي أبو القاسم محمد بن ابراهيم (القرن الثامن الهجري) : الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات ، طبعة حجرية ، قسنطينة ، 1302هـ .

— البكري أبو عبيد الله (ت 487هـ) : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالك ، مطبعة الحكومة ، الجزائر ، 1857 .

— الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى : (ت 279هـ) : سنن الترمذي بشرح الأحوذي ، طبعة حجرية دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، بلا تاريخ الطبع .

— جودت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 .

— الجيطالي أبو طاهر إسماعيل بن موسى : (ت 750هـ) قواعد الإسلام ، ط 1 ، تحقيق بكلي عبد الرحمن ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، 1976م .

— دائرة المعارف الإسلامية ، إنتشارات جهان - تهران ، بوذر جمهري ، مادة : (بنو رستم) ، السودان .

— دبوز محمد علي : تاريخ المغرب الكبير ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، 1383هـ/1963م .

— الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد (ت حوالي 670هـ) : كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، تحقيق ابراهيم طلاي ، مطبعة البعث ، قسنطينة ، 1394هـ/1974م .

— ديوان أمرىء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط 3 ، دار المعارف مصر ، ضمن سلسلة ذخائر العرب رقم 24 ، 1389هـ/1969م .

— الراوي عبد الستار عز الدين : ثورة العقل ، دراسة فلسفية في فكر معتزلة بغداد دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1982م .

— زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة زكي محمد حسن وآخرون ، مطبعة جامعة فؤاد الأول . القاهرة ، 1370هـ/1951م .

— الزركلي خير الدين : الأعلام ، ط 3 بالأوفست ، بيروت 1969/1389 .

— السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ) : تاريخ الخلفاء ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (بلا سنة الطبع) .

- الشماخي أبو العباس أحمد بن سعيد (ت 928هـ) . كتاب السير ، طبع حجري قسنطينة ، الجزائر 1301هـ .
- الشهرستاني أبو الفتح بن عبد الكريم : (ت 548هـ) : الملل والنحل ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، وهو بهامش كتاب الفصل في الملل لابن حزم ، بلا تاريخ الطبع .
- الطبري محمد بن جرير : (ت 310هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار المعارف ، مصر ، 1968م .
- عبد الوهاب بن منصور : السفارات الملكية والعلائق بين المشرق والمغرب ، جريدة البصائر ، الجزائر ، عدد : 179/178 ، 1371هـ/1952م .
- عوض خليفات : نشأة الحركة الاباضية ، جامعة الأردن ، عمان ، 1978م .
- عوض خليفات : النظم الإجتماعية والتربوية عند الاباضية في شمال افريقية في مرحلة الكتمان ، عمان ، الأردن ، 1982م .
- فاروق عمر فوزي : الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، ط 2 ، بيروت 1979م .
- فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج 3 ، عمان ، 1983م .
- مبرد أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ) : الكامل في اللغة (باب الخوارج) ط 2 دار الحكمة دمشق ، 1972م .
- محمود إسماعيل : الخوارج في المغرب الإسلامي ، دار العودة ، بيروت ، 1976م .

- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسن : (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط 4 ، دار الأندلس ، بيروت 1401هـ/1981م .
- معمر علي يحيى : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة 4 ، الإباضية في الجزائر ، مطبعة الدعوة الاسلامية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1399هـ/1979م .
- مهدي هاشم طالب : الحركة الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، رسالة ماجستير في التاريخ ، جامعة بغداد ، 1977م .
- الميلي محمد مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1350هـ/1931م .
- النديم أبو الفرج محمد بن أسحاق : (ت 380هـ) كتاب الفهرست ، تحقيق رضا تجدد بلا مكان الطبع ، 1391هـ/1971م .
- الوارجلاني أبو يعقوب يوسف (ت 570هـ) : الدليل لأهل العقول ، المطبعة البارونية الحجرية ، مصر ، 1306هـ .
- وداد القاضي : ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية ، مجلة الأصالة ، دار البعث ، قسنطينة ، عدد 45 ، 1397هـ/1977م .
- الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام : (ت 6هـ) كتاب السير ، مخطوط بجوزة الشيخ بابانو بني يسجن غرداية ، الجزائر .
- ياقوت الحموي : (ت 626هـ) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت 1397هـ/1977م .

ـ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : البلدان ، ط 3 ، النجف 1377هـ/1957م .

ـ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب : (ت 284هـ) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت 1379هـ/1960م .

المراجع الأجنبية

— Actes du 14e Congrés International des Orientalistes à Alger 1905. 3eme partie imp. Orientale Paris 1908 traduction de la Chronique d'Ibn Seghir par A.de C. Motylinsky.

— Les Cahiers de Tunisie, Revue des sciences humaines. faculté des lettres de Tunisie Tome XXIII N° 91-92 3e et 4e trimestre 1975 réimpression de la Chronique d'Ibn Seghir en Arabe.

— Lewicki Tadeusz : l'Etat Nord-Africain de Tahert et ses relations avec le Soudan Occidental à la fin du VIIIe au IXe 5. Cahiers d'Etudes Africaines vol II, (8) Paris 1962.

— Provençal E. Levi : Histoire de l'Espagne Musulmane imp. Durand. Leiden, 1950.

ملحوظة :

بعد الانتهاء من اعداد الكتاب للطبع وصلنا من القاهرة كتاب اخبار الائمة لابن الصغير بتحقيق الدكتور حسن علي حسن لذلك لم نعتمده في مصادرنا .

فهرس الاعلام

ـ أ ـ

- ب -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

فهرس البلدان والأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

فهرس القبائل والمذاهب والأمم

- أ -

- ب -

- ت -

- ح -

- خ -

- د -

- ر -

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ع -

محتويات الكتاب